

للحصول المجاني على إصدارات أ.د. لطيفة الكندري (من سلسلة تربية الأبناء) الرجاء مراجعة الأمانة العامة للأوقاف - منطقة الدسمة-ق6-ش المنقف-مدرسة الجاحظ سابقا

سلسلة تربية الأبناء السابعة

فن الصداقة الأسرية

كيف أكون صديقا لأبي؟

أ. د. لطيفة حسين الكندري

أ. د. بدر محمد ملك



المحتويات

Contents

4	المقدمة
5	الفصل الأول: مرتكزات
5	نحو صداقة لا تنتهي
8	هؤلاء ضد الصداقة الأسرية
10	لماذا أكون صديقاً لأبي؟
15	حصار الصداقة الأسرية
18	افهم الحاجات النفسية
19	طبيعة وفسولوجية مرحلة الشيخوخة
24	الفصل الثاني: ممارسات
24	مهارات التواصل مع الأب
30	صفات الابن الصديق لأبيه
33	أنشطة تجمع ولا تفرق
35	التفاهم مع الأب والتقرب إليه
39	الغضب يدمر علاقاتك
42	أسلوبك في الحديث مع والدك
45	احذر المزاح السمج
47	مقترحات للحوارات العاصفة
49	الشدائد الاقتصادية تقوي أواصر الصداقة
53	الشفافية مع الأب
57	الصداقة في مجتمع المعرفة
60	الفنون توسع نطاق الصداقة
61	الفصل الثالث: محفزات
61	الإفادة من التجربة الإبراهيمية
63	هذه ثمار الصحة
64	من أصحاب الغار نتعلم
64	مع سلفنا الصالح

66.....	نقتفي هدي الابن الوفي
67.....	صحبة علمية
67.....	حكمة كبار السن
68.....	أبي سبب نجاحي
68.....	الحوار والسلوك الراقي
69.....	من وحي مدرسة لقمان
73.....	تمارين
74.....	الخاتمة
75.....	المراجع العربية
77.....	المراجع الأجنبية

المقدمة

خطوط الاستقامة وصورها الحلوة كثيرة فإذا اقتزنت وشائج القرابة بأواصر الصداقة زادت العلاقات الاجتماعية نورا على نور، وأصبحت القرابة صلة حميمة، ونعمة عظيمة لا تضاهيها نعمة أخرى اللهم نعمة التوحيد. هذا اللون من الصداقة يكون مبعثاً للطمأنينة وإشباعاً للحاجات والدوافع الظاهرة والدفينة التي لا يتمكن الطفل والشاب من إشباعها إلا بالاقتران الناضج بين المرء وأبيه. وهذا لا يعني إهمال جماعة الأقران في المدرسة، وأصدقاء الحي السكني، وزملاء جهة العمل والمعارف على طول وعرض شبكات الإنترنت وغيرها من ساحات التواصل الاجتماعي.

صداقة الأب منة كبرى ونعمة عظمى لمن كسب الفرص السانحة وعرف فضلها وتمكن من فنونها. الوالدان حبهما وحسن صحبتتهما من أعظم الشعائر، وعصيانهما وسوء مباشرتهما من أفدح الكبائر. إن الصغائر في حقهما من أكبر الخسائر، وعليه فإن فهم الطرق الصحيحة للتعامل معهما والتماس العون منهما من أكبر النعم لأهل البصائر. وعليه جاء هذا الكتاب بجميع تفريعاته لنشر ثقافة الصداقة الأسرية ليوجه الخطاب إلى جيل الشباب وجميع العاملين في قطاع تدريب وتنمية مهارات الاتصال الأسري أملاً في تحقيق حالة توافق بين جيل الأبناء والآباء على حد سواء. إننا في عصر يشهد تمزقاً في أواصر الحياة الزوجية وتدنيا في حسن العلاقات بين الكبار والصغار وهو ما يسميه البعض فجوة الأجيال، وأزمة الأخلاق.

ويمكن القول على نحوٍ عام: إن صداقة الأب فرصة حقيقية لأن البعض حرم منها، وهي فرصة واقعية لأن البعض يغفل عنها، إنها فرصة ثمينة لأن البعض يسيء إليها. جاء رجلٌ إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: "أَحْيِي وَالِدَكَ؟". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ". وفي رواية قال الصحابي (أَبَايُغُكَ عَلَى الْمِجْرَةَ وَالْجِهَادِ أُنْتَعِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأُحْسِنُ صُحْبَتَهُمَا). الجهاد الاجتماعي لون من ألوان السعي لا يقل شأنًا عن سائر أنواع الجهاد. إن الانشغال ببر الوالد عمل جليل يضارع الجهاد ذلك المفهوم الإسلامي الأصيل، وإن أولئك الذي يهبون أوقاتهم للتواصل الجميل مع آبائهم هم الفائزون وأولئك هم أصحاب العقول السليمة.

هذا الجزء من سلسلة تربية الأبناء السابعة يخص الشباب بالخطاب وهم أهم وأعز ركيزة في بناء الأمة وإذا نجحنا في تحفيز روح الريادة لديهم في مصاحبة الأسرة نكون قد قطعنا شوطاً كبيراً نحو الحياة الطيبة التي تفتح أبواب الإنتاجية الإنسانية ضمن أفق الحوار والتواصل. قال محمد فتح الله كولن إن تقدم الأمة إلى الأمام أو تراجعها إلى الوراء وانحطاطها مرتبط بالتربية والروح والشعور الذي تتشربه أجيالها الشابة. فطريق التقدم مفتوح دوماً أمام الأمم التي تعد شبابها إعداداً جيداً. أما الأمم التي تحمل شبابها فلا تستطيع أن

تخطو خطوة واحدة إلى الأمام. على الذين يرغبون في معرفة مستقبل أي أمة والتنبؤ به القيام بالنظر إلى التربية المعطاة إلى شباب تلك الأمة. عند ذلك يستطيعون التأكد بأنهم يستطيعون هذا وأن أحكامهم ستكون صحيحة مئة بالمئة. الاهتمام بالأجيال الشابة ورعايتها بكل حنان خطوة إيجابية وذات مغزى في صالح الأمة (بتصرف).

إن صداقة الولد لوالده تحتوي على مشاعر داخلية جياشة تمر في أطوار متعاقبة وهذه العلاقة الإنسانية الطبيعية النامية والمتغيرة والأزلية من أهم مكونات شخصياتنا اجتماعيا ونفسيا وثقافيا. إن الصداقة من موجّهات السلوك ومن ركائز التعايش لكل كائن اجتماعي. لا تعني الصداقة الأسرية بأي حال من الأحوال ذوبان الحدود فيظل الابن ابنا والأب أبا فالذوبان يعني ضياع الحدود على نحو يعيق انهمار الغيث الاجتماعي ويمنع توثيق ثقة الصداقة بين الطرفين بالشكل الصحيح. الصداقة المتينة في المجال العائلي هي الدرع الحصينة لحماية الصلات القوية في الأسرة وخارجها حيث يمكن أن يمتد البرّ بالوالدين إلى صداقة تامة تحمي الأسرة والمجتمع من ثمارها المباركة.

الفصل الأول: مرتكزات

نحو صداقة لا تنتهي

تتجلى العلاقات الإنسانية بعدة قسّمات فالصداقة مثلا تضم في طياتها مجموعة مشاعر نبيلة تفصح عن وجود رابطة وثيقة بين طرفين يريدان تمضية رحلة الحياة معا بثنائية متناغمة. وظائف الصداقة عظيمة فالصديق "لا يراد ليؤخذ منه شيء، أو ليعطي شيئا، ولكن ليسكن إليه، ويعتمد عليه، ويستأنس به، ويستفاد منه، ويستشار في الملّات، وينهض في المهم، ويتزين به إذا حضر، ويتشوق إليه إذا سفر، والأخذ والإعطاء في عرض ذلك جاربان على مذهب الجود والكرم" (التوحيدى، 2007م، ص 93). إن تطعيم حياتنا الأسرية بهذه القيم الإنسانية الرفيعة تزيد من نقاء وصفاء التواصل العائلي وتحميها من الإهمال والتردي. ومن جهة أخرى تعصم الشباب من الضياع وتنتشلهم من اليأس والتشاؤم نتيجة ما قد يجده من ضياع الهوية واكتشاف الذات أو من إحباط ناتج من التناقض بين رغبات الفرد الشخصية، وتوجهات المجتمع.

لا تكتمل الحياة الطيبة إلا بالصحة الصالحة ولا خير في الصديق إلا مع الإخلاص والأمانة والولاء والوفاء. انتبه علماؤنا إلى أهمية الصحة وصورها وخطورتها فوضعوا لها قواعد اجتماعية وبسطوها في كتبهم رجاء الوفاء بموضوع الصداقة. نجد في كتب السلف الصالح: (الوحدة خير من جليس السوء) لما في الوحدة من السلامة وهي رأس المال فلا يعدل بالسلامة شيء وجليس السوء يبدي المساوىء والنفس أمارة بالسوء فإن ملت إليه شاركك وإن كفت عنه نفسك شغلك. (والجليس الصالح خير من الوحدة)

فإن مجالسته غنيمة وريح، "وكل قرين بالمقارن يقتدي". إن صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومتى لم يتهياً لك الخير فأمسك عن الشر تظفر بالسلامة.

يدرك المطلع على السيرة النبوية أن حسن الصحبة والأخوة الصادقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه من أهم سمات ذلك العصر. يقول المهاتما غاندي "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف".

توفر الصداقة الصالحة تحسناً فورياً للحالة المعنوية، كما توفر لكبار السن الشعور بالأُنس، وتملأ شيئاً من الفراغ لديهم. إنَّ الناس يحتاجون إلى أصدقاء حاجة ماسة لأربعة أسباب جوهرية:

- المساعدة العملية في بعض الشؤون، وتوفير بعض المعلومات حول بعض القضايا.
- إسداء النصح وتقديم العطف، والاستماع إلى الشكوى بإخلاص وتفهم، والمشاركة في النظرة إلى العالم.

- تماثل الاهتمامات والمشاركة في بعض الأنشطة، وممارسة بعض الألعاب (بكار، 1429هـ).
- تشير الأبحاث إلى حقائق عامة عن الصداقة فالأشخاص الذين يحظون بالكثير من الأصدقاء تقل فرصة إصابتهم بالأمراض، لذا احرص على اكتساب المزيد من الأصدقاء (هاينز، 2009م، ص 249).

- تبادل المحبة والمودة. قال جبران خليل جبران "ليحب أحدكما الآخر، ولكن لا تجعلوا من الحب قييداً، بل اجعلوا بحراً متدفقاً بين شواطئ أرواحكما".

يشكو الكثير من الناشئة من صعوبة التواصل مع آبائهم بل وصل الحال بأن قطع البعض منهم معظم أشكال التواصل مع آبائهم وباتت علاقاتهم الأسرية باهتة خالية من روح التقارب والألفة والانسجام. ومن الضرورة بمكان تسليط الضوء على محور دور الابن في التعامل مع الأب في رحاب الإسلام من جهة، وفي سياق التحديات التي تواجه الأسرة من جهة أخرى. والغاية من هذا المسعى التمهيد للبيئة الأسرية السعيدة والحياة الطيبة.

تشير الدراسات الميدانية في قضايا واقع التربية الإسلامية إلى أن من أهم أسباب المشكلات الأسرية عدم التواصل بين الآباء والأبناء، فلقد تخلت الأسرة عن جزء كبير من دورها في العملية التربوية لدى شريحة كبيرة من المجتمع، وأصبح تركيزها اليوم على توفير المواد الأولية من طعام وكساء وعلاج

والحاق الأبناء بالتعليم وتحقيق التفوق الدراسي دون الاهتمام بالتفوق القيمي الأخلاقي ودون اكتراث بالإشباع العاطفي.

إذا تتبعنا الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة عن فضائل الأبوة نجد أن الوالد أوسط أبواب الجنة أي أفضلها. قال النبي صلى الله عليه وسلم عن فضل الأب "الوالدُ أوسطُ أبوابِ الجنةِ. فأضِعْ ذلِكَ البابَ أو احْفَظْهُ"، وقال: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسُخْطُ الرَّبِّ فِي سُخْطِ الْوَالِدِ». وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "مِنَ الْكِبَائِرِ شَتَمُ الرَّجُلِ وَالِدِيهِ" قيل: وَهَلْ يُسَبُّ الرَّجُلُ وَالِدِيهِ؟ قال: "نَعَمْ يُسَبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسَبُّ أَبَاهُ، وَيَسَبُّ أُمَّهُ فَيَسَبُّ أُمَّهُ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. هذه الإرشادات النورانية هي بحق قواعد حياة وقيم تدفع الناشئة نحو السعي إلى الوفاء بحق الآباء ولهذا جاء هذا الإصدار التربوي ليكون عوناً للأبناء في صلة الآباء والبر بهم على نحو يعطي للمجتمع التماسك المطلوب.

وإذا كانوا الأصدقاء بعبارة رمزية "كالسلاح، فمنهم من يجب أن يكون كالرمح يطعن به من بعيد، ومنهم كالسهم يرمى به ولا يعود إليك، ومنهم كالسيف الذي لا ينبغي أن يفارقك" (التوحيد، 2007م، ص 86)، فوالدك سيفك بل أعظم من سلاحك فلا تفارق صداقته ما حييت أبداً.

ورد في الأثر "إذا كبر ولدك واخيه" والمعنى اتخذه أخاً وعامله معاملة الأخ والصديق. ومن توابع حسن صحبة الأب صلة أصحابه بعد وفاته. قال بعضهم "لا تتخل عن صديقك وصديق والدك" (هاينز، 2009م، ص 48). جاء في كتاب آداب الصحبة للسلمي الحديث التالي "عن أبي أسيد مالك بن ربيعة قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمْةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٌ أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا". وقيل مكتوب في الحكمة: أحب خليلك و خليل أبيك... لا تَقْطَعْ مَنْ كَانَ أَبُوكَ يَصِلُهُ فَيُطْفِئُ نُورَكَ. وقال أفلاطون: إذا صادقت رجلاً وجب أن تكون صديق صديقه وليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه. والابن الذي حباه الله بنور الحكمة يكرم صديق أبيك حيث لقيه ويمنحه الكرامة.

تقوم الصداقة الأسرية على وعي راسخ لحقوق الآباء على أبنائهم وهي:

- 1- صحبتها بالمعروف ولو كانا على غير دينه أو مذهبه.
- 2- الإحسان إليهما وإكرامهما والقيام بحقوقهما ورعاية شيخوختهما وخاصة أمه.
- 3- ألا يرفع صوته عليهما ولا ينهرهما ولا يؤذيهما أدنى إيذاء ولو بالإشارة.
- 4- رعاية حقوقهما بعد وفاتهما بالدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما ووصيتهما وإكرام صديقهما وصلة رحمهما" (اللجنة الإسلامية العالمية للطفل، 2011م، المذكرة التفسيرية لميثاق الأسرة في الإسلام). قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك". "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ". قال العلماء "ولفظ الولد شامل للأنتى والذكر وشرط صلاحه ليكون الدعاء مجاباً".

يملك الإنسان طاقات هائلة للتواصل مع غيره وإسعادهم فالفرد قد يقوم بعمل ألف شخص ويسد مكانهم إذا كان ساعياً للخير مؤمناً بربه، مستثمراً قدراته، مديراً لإرادته على نحو سليم. وعندما يتخلى المرء عن وظائفه فإن ألف إنسان قد يقومون بعمل شخص واحد فقط. وفي الحديث "ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان"¹ قال المناوي في فيض التقدير يشير الحديث "إلى أنه قد يبلغ بقوة إيمانه وإيقانه وتكامل أخلاق إسلامه إلى ثبوت في الدين وقيام بمصالح الإسلام والمسلمين بعلم يكسبه وينشره أو مال يبذله أو شجاعة يسد بها مسد ألف. وهكذا على المسلم أن يتسابق في مضمار التنافس في الإحسان لوالديه مع استحضار النية الحسنة إلى أن يصير لهما قرّة للعين وبهجة للروح فيكون الابن بفعله الكريم وبره العظيم خيراً من ألف مثله اتقاناً وتواصلًا وتسامحاً معهما، مع مزيد حب ومودة ورحمة لهما. وتأخير الخير وعدم التعجيل فيه هو الضرر الأكيد والخطر المدمر لأن التسوية آفة الآفات يفوت على الناس فرص العطاء. والعامل في علاقاته الأسرية وغيرها يبصر حق أهله عليه ويمتنع من التقصير في جناب والديه ويحذر من أن يكون رهينة في قفص التسوية فعندما ينوي الابن الخير ويهم بأدائه، فإن عادة التسوية تزين للإنسان التأخير والمماطلة إلى أن تزول الفرصة وتظل الحسرة بعد ضياع الغنيمة وبعض الفرص قد لا تعود ثانية.

هؤلاء ضد الصداقة الأسرية

ناقش الكاتبون موضوع تواصل الآباء والأبناء في دائرة الصداقة ما بين مؤيد ومعارض للفكرة، وأشار بعضهم إلى أن هذه العلاقة لن تكون نافعة أبداً إذا كانت الصداقة تعني كسر الحواجز وإلغاء العلاقة الأبوية (Dewar, 2009). وينادي بعض التربويين بأنه: لا تحاول أن تجعل ابنك صديقك الحميم ويضع هؤلاء دعوتهم ضمن مبادئ التربية الأسرية لأن الصداقة تحتم الصراحة، والصراحة صعبة مع الأهل (Temppar, 2008, p. 226).

كتبت خيرية هنداوي عن الصداقة العائلية فقالت إن الصداقة العائلية حصن أمان للشباب.. دراسة تدعو إليها.. وأخرى تُحذر منها!.. لماذا؟ ما أجل أن تتطور علاقة الآباء بأبنائهم تبعاً لمراحل نموهم؛ في الطفولة يمدونهم بالحب والاهتمام، ويتكشّفون معهم الدنيا من حولهم، وعند المراهقة يسعى

¹ انظر مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، المجلد الخامس، كتاب الجهاد، باب تفاوت الرجال في الرأي والشجاعة. قال العراقي: الحديث حسن.

الآباء لاحترام رغبات الأبناء في الاستقلال وإثبات الذات، أما مرحلة الشباب والتي تبدأ عادة من سن العشرين وتمتد حتى الخامسة والثلاثين فتأتي «الصدقة العائلية» والحوار والتواصل كحصن أمان لهما. لكن الغريب المدهش أن هناك مختصين يرحبون بهذه الصداقة ويدعون إليها، وفريقا ثانيا يجذر منها وينصح بالبعد عنها! ويعود سبب رفض صداقة الآباء لأبنائهم إلى أنه ليس من المفروض أن يستغل الآباء أبنائهم الشباب فيحكون معهم عن مشاكلهم، وإخفاقاتهم، ونقاط ضعفهم، والتي لا يستطيعون أن يبوحوا بها لأحد تحت ستار «أبنائي.. سرّي»، فهذا يعد ابتزازاً عاطفياً؛ يشعر الابن بعدم الأمان (بتصرف).

تقول إحدى الفتيات "أن مشروع إقامة علاقة صداقة تربط الأم بابنتها مشروع فاشل ومستحيل، لأن دوافع الأم من وراء هذه العلاقة قد تتعارض ورغبة البنت المراهقة، بمعنى أن الأم لا تكف عن مراقبة جميع تصرفات الابنة ووضع تحركاتها تحت المجهر، ابتداء من التصنت على المكالمات التي تجريها أو تستقبلها من صديقاتها وزميلاتها في المدرسة مروراً بالحد من حريتها في اختيار ما يتناسب وعمرها وذوقها من ملابس واكسسوارات كبقية قريناتها، وصولاً إلى حرمانها من حقها في الفسحة والخروج للتنزه مع الرفيقات في أحد الأماكن العامة خلال فترة العطل والإجازات، أو حتى المشاركة والحضور في المناسبات الاجتماعية المختلفة، مضيئة أنه من الناحية الأخرى فإن فارق السن بينهما يجعل دون إقامة علاقة الصداقة لأن كل منهما عاشت ظروفًا وفترة مغايرة للأحوال التي مرت بها الأخرى مما يعيق التفاهم التام بينهما".

يرفض د. سبوك (2009م) هذا التوجه تماماً حيث يطالب بضرورة تكوين الصلحة الطيبة في الأسرة الواحدة ويطالب بإتاحة الفرصة للأبناء ليكونوا مع والديهم فالصبي يتلهف لوالد صديق لقضاء وقت ممتع معه. ويرى د. سبوك أن الولد بحاجة إلى والد صديق لتشكيل شخصيته الرجولية لكي يشب ولديه إحساس بالارتياح لكونه رجلاً وينقل له الإحساس بأنه كالمثل القائل: "هذا الشبل من ذاك الأسد". يقتسم معه الأسرار ويصحبه من وقت لآخر في رحلات خلوية (ص 389-390) يعيش الابن سعيداً في البيت لأنه يتمتع بالصداقة مع أفراد أسرته. إن بناء جسر الصداقة بين الأب والابن يجعله يدخل عالماً كبيراً يوسع عقليته وخبراته ويكتسب الصفات الطيبة (الشاذلي، 2009م، ص 133). ومن صفات الحوار الأسري الناجح لا سيما مع الآباء حوار الأصدقاء لأنه يحل المشاكل ويقرب كل طرف من الآخر ويتحول إلى صداقة بين الشباب والآباء، والفتيات والأمهات، حيث لا حواجز، لذلك فالحوار في حاجة إلى هدوء وحكمة، خاصة بين انشغال الآباء والإعلام المفتوح أمام الشباب (ماضي، 2009م، ص 47).

تقول مريم النعيمي "وإن الآباء الذين يفضلون اللجوء إلى العنف اللفظي تنخفض لديهم القدرة على تكوين صداقات حقيقية مع أبنائهم في الوقت الذي تشكل فيه هذه الصداقة مظلة حقيقية تقيهم من قسوة الحياة ومفاجآتها المحفوفة بالأخطار. إن إسقاط هدف تكوين صداقة حقيقية مع هذه الشريحة هو مطب تربوي ينبغي تجنبه والحذر من حدوثه، فالمرهق يمر بتجارب عديدة ويخضع لانفعالات مختلفة ويصيبه التوتر مما يرى ويسمع من تناقضات تزخر بها الحياة التي يتعاطاها". ولهذا وجب تقديم صداقة أسرية حقيقية لاستيعاب واحتواء أعضاء الأسرة.

تمرّ الصداقة بمراحل شبيهة بمراحل التطور الجسماني، فمن صداقة اللعب، إلى صداقة الأخذ والعطاء، ثم الصداقة المستدامة للتعاون وتبادل المشاعر وكتمان الأسرار المتبادلة، والتي لا يطلع عليها أحد غير الأصدقاء. وهذا يوجب على الآباء توسيع الميول الاجتماعية للأطفال عن طريق توضيح بعض الطرق والملاحظات والإيجاءات، وتشجيع إقامة علاقات الصداقة. فالأب يكون صديقاً مع أولاده والولد صديقاً لأمه وأبيه، والعلاقات مع العائلة لا بدّ أن تكون علاقات إنسانية تقوم على الصداقة الحقيقية، المبنية على المودّة والاحترام والالتزام (الشماس، 2004م، باختصار).

قال سلمان العودة إن هناك فرقاً أن يكون الأب شُرْطِيّاً على الابن، فإن هذا يُنْفَرُ الابن، وبين أن يتخذ الابن أباه صديقه .. ولست أقول: إن الصداقة سبع سنوات، لكن ينبغي أن تكون الصداقة بين الأب وابنه مدى الحياة. وذكر العودة قصة الطفل "تبارك" والتي بثتها قناة دليل الفضائية، وفيها أن الطفل ووالده يجمع بينهما علاقة ود وصداقة حميمة ساهمت في أن يحفظ هذا الطفل القرآن وفي سن مبكرة.

لماذا أكون صديقاً لأبي؟

1- الأب أمل كلما اقتربنا بالجلوس معه أقبلنا على حسن العمل فتحنا معه أبواب التشاور كلما حلت بنا الضوائق وصرنا أصبر على التصدي للمصاعب بنور الأمل وشمس الأبوة وكما قال الشاعر:

أيا أبتى لا زلتَ فينا فإيماً لنا أملٌ في العيش ما دمت عائشاً

1- من تمام حسن الصحبة للأب توثيق العلاقة معه حيث يفرح الأب بقرب ابنه ويسعد بذلك وكما قيل "هما جنتك ونارك، ريح الولد من ريح الجنة، إذا كبر ابنك واخه، محبة في الآباء صلة في الأبناء". الابن امتداد طبيعي للأب وفي الحديث النبوي الشريف قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ"، "أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ".

2- التمتع بنعمة عظيمة في حياتنا حُرْم منها كثير من الناس. ليس لإنسان نعمة على غيره مثل ما للوالدين على الولد، والصدقة تعين المرء لكي يكون شاعراً بنعمة الأبوة، واعيا بقيمتها، مدركا لعظمتها.

3- للحد من عقوق الأبناء، وتجبر الآباء فإن الشيطان يفرق بين الأحباب. قال جل ثناؤه محذرا لنا {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا} (الإسراء: 53). ورد عن جعفر الصادق "وَمَنْ أَحْرَزَ وَالِدَيْهِ، فَقَدْ عَقَّهُمَا؛ قال العلماء "إنما قصد أن لا تجفي الوالدين، لأن فيه أملهما فمن أحزنهما بقصد الجفاء فقد ألمهما وذلك عقوق". هذه النصوص وشقيقتها هي فصوص حكم تعمل على إذكاء عاطفة البنوة وإعلاء شأن الأبوة. يتخذ الابن من شفافية الخشية وسيلة للتقرب إلى الله سبحانه والحذر من عصيانه. وبذلك تنمو شجرة القيم وتظهر ثمارها؛ التواضع، والإخبات، ولين الجانب، ورحابة الصّدر، وبشاشة الوجه، وخفض الجناح، وحسن التخلق مع مقام الأب.

4- يفضل بعض الشباب أن يكون الأب أخ وصديق وهذا لا يمكن أن يحدث حتى يبذل الشباب جهدهم نحو مصادقة الآباء والأمهات فهذا الأمر في نظر البعض حل رائع لمشكلات الشباب (ماضي، 2009م، رحلة البحث عن صديق، ص 115-116).

5- كي يكون الشاب نموذجا لأبنائه - في المستقبل - يجبون صحبته كما كان يفعل بأبيه، "بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَتْنَأُوكُمْ". ومن بركات هذه المودة ما ورد في الحديث الشريف "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمُدَّ اللَّهُ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبِرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحْمَةً".

6- يحقق الطفل والشباب مكاسب كثيرة من صداقة والده ويحقق مشاركة متبادلة تعين على قضاء أطيب الأوقات. كلما تحسنت علاقة الابن بأبيه زادت استفادته وقديما قالوا الصداقة بئر يزداد عمقا كلما أخذت منه. وسئل ديوجانس أحد حكماء اليونان: أي الخصال أحمد عاقبة قال: الإيمان بالله عز وجل، وبرّ الوالدين، ومحبة العلماء، وقبول الأدب.

7- يحتاج كبار السن إلى من يتفرغ لهم، ويشغل أوقاتهم، ويشبع حاجياتهم النفسية وكلما زاد السن زادت الحاجة.

8- الوالد قدوة حسنة وعنده جوانب مضيئة يقتبس منها الجيل الصاعد ليصقل مواهبه وخبراته. ذكر السلمي في آداب الصحبة "لَمَّا حَضَرَتْ عَلْقَمَةَ الْعَطَّارِدِيُّ الْوُفَاةَ، دَعَا بِابْنِهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ عَرَضَتْ لَكَ إِلَى صُحْبَةِ الرِّجَالِ حَاجَةٌ فَانظُرْ مَنْ إِنْ حَدَّثْتَهُ صَانِكَ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ زَانِكَ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ سَيِّئَةً سَدَّهَا، وَإِذَا سَأَلَتْ

أَعْطَاكَ، وَإِنْ سَكَتَ ابْتَدَأَكَ". "مذاكرة الرجال تلقح الألباب". يمتلك الوالد الخبرة ولا يمكن أخذ رحيقها إلا بالصحة الصادقة، وطول زمان، ورغبة عارمة في التعلم. تجارب الآباء عصارة عمر، وضياء عقل، ونور قلب، وهداية درب، وهبة من الرب.

9- قضاء أوقات يحبها الله سبحانه.

10- يشرح الأب لابنه عبر صداقته ما يتيسر من معاني الحياة الزوجية وسبل تربية الأبناء لإعداد الابن إعداداً سليماً.

11- تبادل الأفكار وبناء جسور الحوار.

12- كسر الرهبة وإزالة الحواجز بين الصغير والكبير.

13- اكتساب العادات والتقاليد والثقافة المجتمعية والشعبية مع التدريب على إتقانها.

14- إذا اعتاد الولد صحبة والده ابتعد غالباً عن صحبة السوء وخجل عموماً من فعل ما ينافي السلوك النبيل فيقلل المراهق مشاكساته طمعا في ديمومة المحبة بينه وبين والده ولكي يكون عند حسن ظنه رغم ضآلة النضج، ومحدودية الخبرة. تشهد الدراسات الميدانية أن التماسك الأسري سد منيع يحمي الشباب من الانحراف ويعصمهم من التفسخ الأخلاقي، ويحجبهم من التلوث الثقافي.

15- من الصعب الحصول على الصديق الوفي، والأب خيار لكل ذكي. قال الشاعر محمود سامي البارودي:

قَلِيلٌ بِأَدَابِ الْمَوَدَّةِ مَنْ يَفِي فَمَنْ لِي يَجِلَّ أَصْطَفِيهِ وَأَكْتَفِي
بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا، فَلَمْ أَرِ صَاحِبًا يَدُومُ عَلَيَّ وَدِّ بَعَيْرٍ تَكْلُفِ
فَهَلْ مِنْ فِتْيٍ يَسْرُو عَنِ الْقَلْبِ هَمَّهُ بِشِيمَةِ مَطْبُوعٍ عَلَيَّ الْمَجْدِ مُسْعِفِ

16- يظفر الابن بمزيد من الدعوات الصالحة ويستزيد من فرص الصلاح ودرجات التوفيق. ورد في سنن ابن ماجه عن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ". إن دعوة الأب لابنه أو ابنته مرجوة الإجابة لا سيما إذا اقترنت الدعوة الأبوية بصدق الطلب، وحسن التوقيت، وصحة القصد، ورقة القلب، وانكسار الخاطر. تشغل زخارف الدنيا الخادعة القلوب فتغفل عن دروب الخير ومحطاتها والعائل من عرف قدر والده.

17- "وفرق بين أن يتكلم الإنسان مع عامة الخلق، وبين أن يتكلم مع ولده، فالابن هو الإنسان الوحيد في الوجود الذي يودُّ أبوه أن يكون الابن أفضل وأحسن حالاً منه، ويتمنى

أن يُعَوِّضَ ما فاته في نفسه في ولده ويتدارك فيه ما فاته من خير" (سيد قطب، في ظلال القرآن، تفسير سورة لقمان).

18- إن هدي الأنبياء عليهم السلام أن يعاشروا والديهم ويثبوا لهم مشاعر الفرح والترقب ولقد جاء الوحي بطرف من أنباء الأنبياء فوصف لنا بدقة كيف بث يوسف مشاعره لأبيه يعقوب عليهما السلام " { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } (يوسف: 4). ثم عاد لتأويل الرؤيا بعد قصة شائقة: { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } (يوسف: 100).

لقد أرسى الإسلام بتعاليمه السمحة أسس نعمة الإخاء وتأليف القلوب وفتح الأبواب لصداقات إنسانية لا حصر لها، وخيرات ربانية تدوم مدى الحياة، وذلك أعون لرخاء الإنسانية ورفع مستواها، وأرجى لاجتذاب النفع، واجتناب الضر. ومن هذه المشكاة تشع مشاعر جياشة، وأنوار بهيمة، وهبات سخية، منها هبة الصداقة داخل دائرة الأسرة وخارجها حيث تتألق بها منظومة التربية الإسلامية وتزخر بعلائق حب الأبناء للآباء، وفيها تزدهر أواصر الصداقة والألفة والمودة. أعلى الإسلام من شأن صلة الأرحام، وقال جل ثناؤه عن بديع صنعه وعظيم عطائه { لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (الأنفال: 63). جاءت هذه الحقيقة عن العلائق البشرية بكلمات قرآنية حلوة فصيحة، ومحكمة فسيحة، ودقيقة رصينة فجميع كنوز الأرض لا تؤلف بين قلبين ولكن الله العلي القدير وحده القادر على تأليف الأرواح، وضخ مياه المحبة في مسارحها.

تصلح الصداقة الأسرية لتكون صورة صادقة للإحسان بالأبوين. جاء في تفسير الشعراوي "وقوله تعالى: { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } لأهما السبب المباشر في وجودك، ربيك وأنت صغير، وورعياك، وقوله تعالى: "إحسانا" معناه زيادة على المفروض. لأنك قد تؤدي الشيء بالقدر المفروض منك فالذي يؤدي الصلاة مثلا بقدر الغرض يكون قد أدى أما الذي يصلي النوافل ويقوم الليل يكون قد دخل في مجال الإحسان أي عطاؤه أكثر من المفروض وهكذا نرى أن الإحسان زيادة على المفروض في الصلاة والتسبيح والصدقة والله تبارك وتعالى يريد منك أن تعطي لوالديك أكثر من المفروض أو من الواجب عليك (باختصار، سورة البقرة آية 83).

ولقد تطرق الباحثون إلى موضوع الأسباب الأكثر شيوعا وراء اعتقاد البالغين أن آباءهم هم أفضل الأصدقاء لهم:

- أن الأب يحبهم.

- يكون مهتما بنجاحهم.
- يكون قدوة بالنسبة لهم.
- يشاركونهم تاريخهم.
- يجعلهم يشعرون بالأمان (هاينز, 2009م، ص 116).
- يصادقهم ويستمع لمشكلاتهم (عبدالجواد، 2005م، ص 85).

ويقصد بتواصل البنوة "تواصل الابن أو الابنة مع أبيه وأمه، وحواره معهما، وتفاهمه معهما حول ما يريده كل منهما الآخر، وتبادل الابن مشاعر الود والرحمة والاحترام مع والديه لاسيما عندما يبلغا عنده الكبر أحدهما أو كلاهما. وتواصل البنوة مثل تواصل الأبوة وتواصل الأمومة من حيث إن طريفي التواصل هما الآباء والأبناء، إلا أنه في تواصل الأبوة والأمومة يكون التواصل من الآباء إلى الأبناء، حي يدير الآباء التواصل ويؤثرون في الأبناء في مواقف التنشئة الاجتماعية في الطفولة والمراهقة، ويسمى هذا التواصل "المعاملة الوالدية" أي معاملة الآباء للأبناء. أما تواصل البنوة فيكون من الأبناء إلى الآباء، حيث يدير الأبناء الحوار ويؤثرون في الآباء لاسيما في الكبر ويسمى هذا التواصل "بر الوالدين" إذا كان التواصل جيدا، "وعقوق الوالدين" إذا كان التواصل منعما أو رديئا. ويؤدي تواصل الابن الجيد مع أبيه وأمه، وبره بهما إلى استقرار الأسرة وتماسكها ويشبع حاجات الآباء الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية، وينمي صحتهم النفسية والجسمية ويحميهم من الأمراض والأوجاع، ناهيك عن تأثيره على الأبناء والأحفاد، والبركة التي يحصلون عليها في العمر والرزق، ورضا الله في الدنيا والآخرة" (موسوعة الأسرة، ج3، ص 528-529، باختصار).

المعنى للنظر في البنية الاجتماعية للفجوة بين الأجيال يجد لها تداعيات واقعية للعلاقة بين الآباء والأبناء، وفي دراسة ميدانية خليجية تبين أنه بالرغم من أن أحدا من المشاركين في مجموعة الأبناء لم يصف علاقته بوالديه بالسيئة، إلا أن 33% منهم يرى أنها متوترة. ويرى 30% أنها متذبذبة و 26% يرى أنها جيدة، بينما 11% يرون أنها غير واضحة. ويتضح من هذه النتيجة أن 74% من المشاركين في الدراسة من الأبناء يصفون العلاقة بين الآباء والأبناء بوصف لا يهيئ لتعامل مناسب مع احتياجات أبنائهم. واستنادا لنفس الدراسة فقد وصف الآباء 62% منهم تلك العلاقة بأنها جيدة و 17% وصفوها بالمتوترة، و 14% بالمتذبذبة و 6% بغير الواضحة. ويلاحظ أن الأبناء يميلون إلى وصف العلاقة بالسلبية، بينما الآباء يميلون إلى وصفها بالإيجابية (الرومي، 1431هـ، ص 80).

وعند السؤال عن المتسبب الرئيسي في وصول العلاقة بين الآباء والأبناء إلى ما وصفت به أبدى 42% من الأبناء أن الآباء هم المتسببون، بينما 23% يرون أن الأبناء هم المتسببون، وهناك 19% يرون أن الآباء والأبناء معا هم المتسببون و15% يرون أن البيئة الاجتماعية هي المتسببة. وبالمقابل يرى 42% من الآباء أن الآباء أنفسهم المتسببون. وقد سئل الأبناء عن سبب الاختلاف بين الآباء والأبناء فذكروا عددا من الأسباب: اختلاف الزمن، وقلة معرفة كل منهم بالآخر، وافتقار الصداقة بينهم، ووجود فجوة أو عدم تجانس بينهم، وغياب المصارحة بينهم، وعدم ثقة الأب بالابن، ورغبة الأب بتربية الابن حسب الطريقة التي ترى هو بها، ووجود أصدقاء سوء (الرومي، 1431هـ، ص 82، 83).

وفي دراسة شاركنا بها وجدنا 69% من أفراد العينة يرون أن ظاهرة التفكك الأسري موجودة في مجتمعنا مما يدل على تحديات حقيقية في المجتمع وضرورة فتح مسارات جديدة وممارسات عملية من شأنها أن تعيد للأسرة عافيتها لتأمين علاقات أسرية صحية قادرة على الصمود في وجه التحديات المعاصرة.

حصاد الصداقة الأسرية

الأسرة هي اللبنة الأولى والوحدة الاجتماعية الأساسية للمجتمع، وهي مصدر التربية الوجدانية والعقلية والاجتماعية وأساس رقي أي مجتمع. إن التآلف بين القلوب هو أساس التواد وقاعدة المساندة، وقوام الصحة النفسية التي تقدمها الأسرة. وحين تتآلف القلوب؛ فهذا أقوى وثاق؛ لأن كل عمل يقوم به الإنسان إنما ينشأ من قلبه فتتحرك جوارحه. تلتقي وظيفة الأسرة مع وظيفة الصداقة عند نقطة أساسية وهي توفير الأناس والصدق والتعاون والمشاركة الوجدانية. الصديق سراجٌ يجلي دجى الوحشة والوحدة بالحب، وضياءٌ يكشف ظلام الجهالة بالصدق. لا يمكن إقصاء مشاعر الصداقة عن رويط القرابة فيبينهما تداخل شديد وتشابه كبير فإذا تيسر الجمع بين الفضيلتين فتلك غاية غالية.

الصداقة والأسرة مفهومان بينهما مشتركات كثيرة في اللغة والاصطلاح ودنيا الناس وهما يجعلان مستوى الاجتماع الإنساني أرفع وأكثر التصاقا وشفاء. ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية: أُسْرَةُ الْإِنْسَانِ: عَشِيرَتُهُ وَرَهْطُهُ الْأَدْنَوْنَ، مَا حُوذِيَ مِنَ الْأَسْرِ، وَهُوَ الْقُوَّةُ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَقَوَّى بِهِمْ، وَالْأُسْرَةُ: عَشِيرَةُ الرَّجُلِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ. أما الصَّدَاقَةُ فِي اللُّغَةِ: مُشْتَقَّةٌ مِنَ الصِّدْقِ فِي الْوَدِّ وَالنُّصْحِ، يُقَالُ: صَادَقْتُهُ مُصَادَقَةً وَصَدَقًا، وَالاسْمُ الصَّدَاقَةُ أَي: خَالَئْتُهُ. وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: اتِّفَاقُ الضَّمَائِرِ عَلَى الْمَوَدَّةِ، فَإِذَا أَضْمَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرَّجُلَيْنِ مَوَدَّةً صَاحِبِهِ فَصَارَ بَاطِنُهُ فِيهَا كَظَاهِرِهِ سُمِّيَا صَدِيقَيْنِ. وَالصُّحْبَةُ: هِيَ فِي اللُّغَةِ: الْعِشْرَةُ الطَّوِيلَةُ. وَالرُّفْقَةُ: هِيَ: الصُّحْبَةُ فِي السَّفَرِ خَاصَّةً. وَلَقَدْ رَغَبَتِ الشَّرِيعَةُ فِي الصَّدَاقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ،

وَعَبَّرَتْ عَنْهَا فِي الْعَالِبِ بِالْأُحْوَةِ فِي اللَّهِ وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ: "الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ" (ج26، ص 321، باختصار). ومن هنا فإن "خير حظّ الدنيا القَرِين الصالح فقارن أهل الحَيْر تَكُنْ منهم، وبابن أهل الشر تَبِنْ عنهم، ولا يَغْلِبَنَّ عليك سوء الظنِّ فإنه لن يَدَعَّ بينك وبين خليلٍ صُلِحاً".

وعليه، لا يمكن تصور الصداقة من خير عنصر الصدق وإن اختلاط الصدق بالإخلاص يجعل من الصداقة شيئاً نفيساً. قال الحكماء "عليك بالصدق وإن جرّ عليك المغارم وإياك والكذب وإن ساق إليك الغانم". "عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق؛ والصدق عز وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب؛ ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق".

والصديق ينال ثناء الناس لأنه عنصر أصيل في حياتهم، ومن المعروفين بالصدق أبو ذر الغفاري ففي الحديث "مَا أَظَلَّتْ الْحُضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتْ الْعَبْرَاءُ مِنْ ذِي هُنْجَةٍ أَصْدَقَ وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ" (رواه الترمذي وغيره). وَقَالَتْ عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَصْدَقَ هُنْجَةً مِنْ فَاطِمَةَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي وَلَدَهَا".

الصداقة الأسرية غاية نبيلة وَفِي الْمَثَلِ: "أَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَحْوَكُ أَمْ صَدِيقُكَ؟ قَالَ: أَخِي إِذَا كَانَ صَدِيقِي". "الصداقة بين الآباء والأبناء أحد المفاتيح الضرورية للحياة السعيدة في الأسرة وللطمأنينة يستشعرها الأبناء في سعيهم في الحياة، ولثقة في النفس التي تستمد من ثقة الكبار واحترامهم للصغار؛ وهما معنيان لازمان بين كل صديقين فلا صداقة حيث تنعدم الثقة أو حيث يختفي الاحترام" (العوا، 2007م، ص 45).

يقول القرضاوي "ومن تقاليد المجتمع المسلم: أن بين الولد وأبيه رابطة أبدية مقدسة، لا تنفصم عراها ببلوغ الابن رشده، أو باستقلاله الاقتصادي، أو بزواجه... إن الإسلام ليوسع دائرة الأسرة، حتى تشمل الأقارب من الأصول والفروع والعصبة وكل ذي رحم محرم من الرجال والنساء، فالأجداد والجدات والأحفاد والأسباط، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات وأولادهم... كل هؤلاء أرحام يجب أن توصل، وقرابة يجب أن ترعى، ولها حقوق يجب أن تؤدى، من الزيارة والمودة والإحسان، إلى وجوب النفقة والرعاية المعروف" (باختصار، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده).

تلتف التربية الإسلامية حول مضمون آيات قرآنية كثيرة منها {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} مِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} (الإسراء: 23). قال المفسرون "أمر ربك -أيها الإنسان- وألزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، وأمر بالإحسان إلى الأب والأم، وبخاصة حالة الشيخوخة، فلا تضجر ولا تستقل شيئاً

تراه من أحدهما أو منهما، ولا تسمعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، ولكن ارفق بهما، وقل لهما -دائماً- قولاً ليناً لطيفاً".

ولأن السنة النبوية تتم مقاصد القرآن وتشرح مجمله نجد فيها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك؟ قال: ثم من؟ قال: ثم أمك؟ قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك" (رواه البخاري). قال شراح الحديث مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، وذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية. وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله، ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك.

ومن أجل ذلك أصبحت قناة الصداقة (الصحبة) في الأسرة عموماً غاية في الأهمية في منظومة القيم الإسلامية وفي الضمير الإنساني عموماً وباتت صناعة الصداقة القناة الأولى التي تتفرع منها سائر القنوات والعلاقات والصلات على ضوء القاعدة النبوية "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ". من هنا كان معيار الأسرة المسلمة للتربية السليمة هو مدى الإحسان إلى أعضاء الأسرة عبر توفير الكبير، ورحمة الصغير، واحترام الجميع. هذه المنظومة القيمة هي أساس التربية الإسلامية للفرد والأسرة والمجتمع، وفيها دوام لأواصر المودة والوئام، وتمازج لدواعي المحبة والسلام. وهكذا، "الأسرة هي محضن الأفراد، لا برعاية أجسادهم فقط، بل الأهم هو غرس القيم الدينية والخلقية في نفوسهم، وتبدأ مسؤولية الأسرة في هذا المجال قبل تكوين الجنين بحسن اختيار كلٍّ من الزوجين للآخر، وأولوية المعيار الديني والخلقي في هذا الاختيار، وتستمر هذه المسؤولية بتعليم العقيدة والعبادة والأخلاق لأفراد الأسرة وتدريبهم على ممارستها، ومتابعة ذلك حتى بلوغ الأطفال رُشدتهم واستقلالهم بالمسؤولية الدينية والقانونية عن تصرفاتهم" (اللجنة الإسلامية العالمية للطفل، 2011م، المذكرة التفسيرية لميثاق الأسرة في الإسلام، باختصار).

إن الرابطة الأسرية رابطة أبدية مقدسة من أمتن أسس البناء المجتمعي إذا تم استغلالها بحق أعطت البشرية المزيد من التقدم. في العام (1884) توفي شاب في السادسة عشر من العمر بعد مرض عضال؛ مرض التيفوئيد (typhoid) أثناء رحلة لزيارة إيطاليا. قام والده ووالدته ببناء جامعة عريقة لتخليداً لذكراه هي جامعة ستانفورد الأمريكية الشهيرة (Stanford University) وكان الابن الذي زایل الوجود بجسده هو طفلهما الوحيد ولكنهما جعلاً يجميل صنيعهما كل من استفاد من علم وتناج تلك المؤسسة التعليمية المرموقة ابناً لهما. ضح الزوجان الحكيمان الكرمان أموالهما لتخليد اسم الابن على نحو يخدم البشرية لعدة قرون. وانتشرت أفرع جامعة ستانفورد في عدد كبير من الدول (فرنسا وإنجلترا وروسيا واليابان والأرجنتين والمكسيك...) وتعتبر الأبحاث والدراسات والمنشورات من جامعة ستانفورد ذات قيمة علمية، ولا زال العالم يستفيد من حصاد رابطة الأسرة لتصبح من أقوى القواعد، وأشرف المبادئ.

افهم الحاجات النفسية

افهم احتياجات والدك النفسية وساهم في توفيرها وتشجيع الأب على تحقيقها وإشباعها لتغني وتحصل على صداقة أسرية وثيقة تساعد في إنماء والدك مادياً ومعنوياً والارتقاء بقدراته على قدر مكتسباته الوجدانية، وملكاته الفكرية، وإمكاناته الاجتماعية. تحتاج الحاجات النفسية لدى الإنسان لإشباع نعمها وإرواء ظمئها عن طريق الالتفات إليها وتوفير متطلباتها واتخاذ العلاقات الإنسانية رافدها الآمن .

إن الفشل في توفير البيئة الأسرية القادرة على إشباع الحاجات النفسية يفتح باب احتمالات عديدة قد تنتج حالة الإحباط (frustration) وضعف تقدير الذات وعدم الثقة في القدرات الشخصية وتنامي الشعور بالعجز، وما يتبع ذلك من تصرفات سلبية ذات انعكاس سلبي مباشر على سلوكيات الفرد وعلاقاته الاجتماعية. ورد في الحديث " إِنَّ خَيْرَ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ غَرٌّ وَجَلَّ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ". يقول المفكر التركي محمد فتح الله كولن "حاجة الإنسان إلى أصدقاء مخلصين لا تقل أهمية عن حاجاته الضرورية الأخرى. ومن وصل إلى الأمن والطمأنينة من ناحية أصدقائه وأحبائه يكون قد وصل إلى الطمأنينة في كثير من النواحي".

انتبه علماء العلوم الإنسانية عموماً وعلماء علم النفس على وجه الخصوص من مثل ماسلو إلى أهمية الحاجات الجسمية (الفسيولوجية physiological needs) وتمثل في الحاجة إلى الطعام والماء والأكسجين والراحة. هذه حاجات عضوية مادية تتطلب إشباعاً متزناً ودورياً ومتجدداً. وتبرز أهمية هذه الحاجات متضافرة عندما تتعرض للحرمان الشديد إذ تصبح لها أولوية في الإيقاع وتحجب ما عداها من حاجات. وأشار ماسلو بالتفصيل إلى مكونات تلك الحاجات النفسية ووضع الحاجات الفسيولوجية في بداية الحاجات التي بسط القول فيها ونوجزها في النقاط التالية:

- حاجات الحب والانتماء love and belonging وتشمل عدداً من الحاجات، مثل الحاجة إلى تقبل الغير، والتقبل من الغير، وحب الغير من الغير، والصحبة وتكوين الجماعات والولاء لها. ولا يعني الانتماء مجرد تجمع أفراد، بل تجمع الأفراد الذين تربطهم أهداف ومصالح ومخاوف ومعتقدات واتجاهات مشتركة في جماعة واحدة توفر العضوية فيها إشباع هذه الحاجات.

- حاجات تقدير الذات self-estimate needs، وتتضح في رغبة الفرد في شعوره بقيمته وبأهمية الدور الذي يقوم به في الحياة وفي القيام بالأعمال التي تلقى احترام الآخرين واستحسانهم، وفي أن يكون الفرد عضواً ذا قيمة في الجماعة التي ينتمي إليها.

- حاجات تحقيق الذات self-actualization needs، وهي تعبر عن حاجة الفرد للانطلاق بقدراته ومواهبه ورغباته إلى آفاق تتيح له ما تمكنه استعداداته وقدراته أن يكون كما تتيح له أن يترجم ويجول استعداداته ومواهبه إلى حقيقة واقعة.

- حاجات المعرفة والفهم know and understand needs، وتظهر هذه الحاجات في الرغبة والاكتشاف ومعرفة الحقائق وحب الاستطلاع وفي التحليل والتركيب والتنظيم والربط وإيجاد العلاقات بين الأشياء والظواهر.

- الحاجات الجمالية Aesthetic needs وتتجلى في تفضيل الفرد للفن وإعطائه قيمة مطلقة ومستقلة عن المنفعة المادية وتمثل في تفضيل الترتيب والتنظيم والاتساق في الأنشطة كما تتمثل في النزعة إلى تجنب الأوضاع القبيحة والفوضى وعدم التناسق (انظر الموسوعة العربية، 2004م، الحاجات).

الحاجة إلى الدين كالحاجة إلى الغذاء والماء والاجتماع والنظافة لضمان بقاء الإنسان سليماً في فكره، صحيحاً في فؤاده. إن الإلحاد شقاء وسقم، وشك وألم. ولعل الحاجة إلى الدين لا تقل أهمية عن الحاجات الفسيولوجية فالإنسان جسم وروح يسوقه الدين نحو وجوه الخير. الدين حاجة فطرية وسنة كونية تمد في الإنسان الأحاسيس الإيمانية والتصورات والإرادة والأمل.

طبيعة وفسيولوجية مرحلة الشيخوخة

افهم طبيعة المرحلة العمرية لوالدك يسهل عليك الوصول إلى رضاه. تتجه العلوم الإنسانية وبشكل متزايد نحو فهم الطبيعة البشرية ومسارها لتيسير سبل التواصل معها في كل مرحلة عمرية تبعا لمقتضيات ومتطلبات كل مرحلة. يلجأ البعض إلى سياسة واحدة في التعامل مع كبار السن وهذا مسلك عليه ملاحظات كثيرة أهمها أن الظروف الصحية والجوانب الثقافية والأوضاع الاجتماعية مفاتيح ضرورية للتعامل مع الصغار والراشدين وكبار السن على حد سواء. الصداقة العائلية تزيد من عزيمة الوالدين في الاستمتاع بمباهج الحياة وتعينهم على الصبر على شدة العيش وتجاوز المثبطات والمحبطات بنزعة اجتماعية مشبعة بعبير الإيمان وبقين الثقة. إن تجاهل الطبيعة البشرية وعدم التفاعل مع المشاعر الإنسانية المرهفة، وإغفال المرحلة العمرية، وغياب فنون التواصل الجسدي واللفظي من أبرز أسباب فشل العلاقات بين جيل الكبار وجيل الصغار.

تشير الدراسات الميدانية إلى أنه تقل الرغبة لتكوين الصداقات الجديدة عند شريحة المتزوجين لضيق الوقت لديهم، وقلة الطاقة النفسية، والانشغال بالأولاد وتزيد الرغبة في تقوية العلاقات القديمة، وينخفض الميل إلى مقارنة النفس بالآخرين كما هو الوضع عند المراهقين. يسترعي الانتباه في مرحلة الرشد ازدياد أهمية الصلات الاجتماعية مع الأقارب فقد انتهت إحدى الدراسات الأمريكية إلى أن

الأقارب يشكلون نحو 51% من مجموع العلاقات الاجتماعية لعينة الراشدين. يرتبط الرجال بعدد كبير من الأصدقاء مقارنة بالنساء، ويُعزى ذلك الفرق إلى أن ظروف الحياة تفرض أن يخرج الرجل إلى مجالات عمل أكثر من النساء. تتجه صداقات الرجال نحو الترويج (أبو سريع 1993م، ص 98-101). يميل معظم الرجال إلى الاعتقاد بأن زوجاتهم أفضل الأصدقاء لهم وتقرر الغالبية العظمى من الزوجات إلى أن صديقاتهن -وليس- أزواجهن هن أفضل الأصدقاء بالنسبة لهن (هاينز، 2009م، ص 1). وتشير الدراسات إلى أن الموضوعات الأكثر تداولاً بين الأصدقاء من الرجال: الرياضة- السياسة- الاستثمار- السيارات- العمل (هاينز، 2009م، ص 44). وهذه النتائج تختلف من مجتمع لآخر ومن فترة لأخرى.

إن العلاقات الاجتماعية بين الأب والابن تحمي صحة الأب وصحة الأسرة ككل وتعينه على التوفيق بين العمل ومتطلبات الأسرة. ويعتقد الباحثون عبر دراسات متنوعة في حقول عديدة أنه على الرغم من أن ممارسة التمارين الرياضية وإتباع حمية غذائية جيدة وغيرها من العوامل ذات أهمية حيوية لصحة القلب والجسم، إلا أن العوامل الاجتماعية تلعب دوراً مرموقاً في إشاعة السعادة ونشر الإحساس بالرضا والصحة والعافية.

وفي سن الشيخوخة تظهر "تبدلات تتراجع فيها أعضاء الجسم تدريجياً وتشمل مظهر الإنسان الخارجي وبنية معظم أعضائه ووظائفها، وحالته النفسية والعقلية. وساعد على زيادة حوادث الشيخوخة كذلك تغير نمط الحياة ولاسيما في بلادنا، فزوال الدور (البيوت) الكبيرة الواسعة التي كان يعيش فيها الإنسان مع أبنائه وأحفاده، وتضم عشرات الأشخاص أحياناً، كان فيها الجد والجددة محاطين بالتكريم والعناية العضوية والنفسية وبممارسات بعض الأعمال البسيطة السهلة، أدى إلى انفصال الأبناء عن آبائهم، وأصبح كبار السن يعيشون منعزلين، حتى إنه يشاهد أحياناً فرد واحد فقط يعيش في منزله. ويعد هذا النمط الجديد من الحياة من أهم أسباب حدوث الشيخوخة ولاسيما مظاهره النفسية. تتدنى الوظيفة الجنسية عند الذكور بسبب الاعتلالات الوعائية والداء السكري إضافة لتراجع في مقدار الهرمونات المذكورة في هذه السن، كما يتدنى أثر استعمال بعض الأدوية. وتتأثر الحواس ولاسيما السمع والبصر، فالسمع ينقص بدرجات مختلفة في 50% ممن تجاوزت أعمارهم الخامسة والستين، وذلك لآفة في الأذن الداخلية، أو لإصابة العصب السمعي، وتزيد حوادثه في المصابين بالداء السكري، وبارتفاع الضغط الشرياني، وبالتعرض المديد للضجيج. ويؤدي نقص السمع إلى تعرض المصاب لحوادث السير، وإلى عدم قدرته على التفاهم مع من يحيط به، مما يشعره بالنقص، وينتهي به الأمر أحياناً إلى الميل للعزلة وما يجره ذلك من مشكلات" (الموسوعة العربية، 2004م، الشيخوخة، باختصار).

تقتضي صحبة الآباء في سن الشيخوخة مزيد عناية ودراية بخصوصياتهم. قال الشعراوي "وقوله تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُمَّةٌ وَلَا تَنْهَرُهُمْ وَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: 23] وهذا توجيه وأدب إلهي يُراعي الحالة النفسية للوالدين حال كِبَرهما، وينصح الأبناء أن يكونوا على قدر من الذكاء والفطنة والأدب والرِّفْق في التعامل مع الوالدين في مثل هذا السن. الوالد بعد أن كان يعطيك وينفق عليك أصبح الآن مُتَاجراً إليك، بعد أن كان قوياً قادراً على السعي والعمل أصبح الآن قعيد البيت أو طريح الفراش، إذن: هو في وَضْع يحتاج إلى يقظة ولباقة وسياسة عالية، حتى لا نجرح مشاعره وهي مُزهفة في هذا الحال."

" ففي مرحلة الشيخ يطبع تقدم السن الذكاء والنشاط بطابع خاص، إذ يلاحظ المسن ضعفاً تدريجياً في ذاكرته وقدرته على الانتباه، وقدراته العقلية وتخيلاته ونشاطه، وكل مبادراته وتطلعاته. وأكثر ما يميز عقلية المسن صعوبة اكتساب معارف جديدة، وصعوبة مواجهة الحالات الطارئة وتديرها. ويصعب على المسن في الغالب التكيف مع حالته الجديدة ويتعلق ذلك بحالته النفسية وعاداته وطباعه قبل هذه المرحلة التي تتطلب منه إعادة ترتيب اهتماماته لتناسب وسائله وقواه، وعلى الرغم من ضعف الأداء فليس كل شيء سلباً في هذه السن المتقدمة، والانقطاع عن العمل نهائياً غير محمود، فالتفكير يبقى سليماً جداً لفترة طويلة من الوقت، وعلى نقيض ذلك قد يصبح أحياناً أفضل بما اكتسبه الشخص من خبرات اجتماعية وعملية، وحكمة بعض كبار السن ودكاؤهم وقدرتهم على حل الكثير من المعضلات أمر معروف، أما إذا كانت طبيعة الشخص قبل هذه السن غير مستقرة فتظهر في بداية الأمر المنعكسات الناجمة عن الفراغ كالكآبة والحصر والشعور بالإخفاق وعدم الرضا والانطواء، ويأبى بعضهم الاعتراف بتقدم السن ويرفض الانقطاع عن العمل ولو أنه لا يحسنه (الموسوعة العربية، 2004م، الشيخوخة).

تشير الدراسات التخصصية أنه في مرحلة الشيخوخة يبدأ العد التنازلي حيث تشير الدراسات العلمية إلى أن العقل البشري في جانبيه -الأيمن والأيسر- يحوي على 300 مليون خلية عصبية في حين أن ما يحتويه الدماغ ككل 100 بليون خلية عصبية توجد من ميلاد الإنسان والعجيب أن هذه الخلايا تتناقص مع الوقت ولكن لا تزيد كما أن موت الخلية وعدم تكاثرها من أسباب تدني الإدراك والتفكير عندما يبلغ الإنسان مرحلة أرذل العمر.

تحدث أريكسون عن مرحلة دنو الأجل كمرحلة نهائية من مراحل نمو الإنسان. حيث أن التحدي في هذه المرحلة الأخيرة يتمثل في مواجهة القنوط حيث التحدي الذي يصاحبه ظهور العجز في الجسد وفقد القدرة على أداء بعض الأعمال. الصراع في هذه المرحلة داخل الإنسان المسن بين الثقة بالنفس وبين ضعف الثقة بها. الأمل لا يستطيع إزالة حدة التأزم النفسي في هذه المرحلة.

وفي المنظور الإسلامي يتربص المرء رحمة ربه ويستبشر كعاداته خيرا ويحمد الله على مننه وينظر إلى ذريته وأهله نظرة امتداد له. لعلها نظرة لا يشعر بها عندما كان في سن الشباب ولا الرشد ولا الشيخوخة بل تتجلى في آخر العمر حيث يزحف الإنسان وقد عرف طرفا من حقيقة الحياة بعد أن أتم أشواطها كاملة فيزداد قربا من الرب جل ثناؤه. هذه مرحلة يكون الإنسان قد فقد بالموت والمرض كثير من أصحابه وأحبابه ولكن أواصر الصداقة الأسرية من جيل الأبناء والأحفاد يمدونه بحبال الصحة إلى الرmq الأخير. إنها رحلة رغم طول مدتها زمنيا قصيرة جدا في حس ووجدان الإنسان عندما يبلغ مراحلها الأخيرة.

إن التعرف على المراحل العمرية من أهم مفاتيح التصرف السليم مع الصغار والراشدين والمسنين والتواصل معهم تبعا لخصائصهم أولا، وفي إطار ثقافة المجتمع ثانيا، ووفق خصوصيات كل فرد ثالثا. الحقل التربوي مهتم ببيان أوجه نمو الفرد لفهم خصائص نمو شخصية الإنسان وملامح ومتطلبات كل مرحلة. يجد المربون في مراحل النمو الإنساني العجيب نظرات عميقة لعملية النمو يفهمون من خلالها أنفسهم وغيرهم، مما يشجعهم على بذل المزيد من الجهد الواعي المنظم في التواصل الصحيح والتصرف السليم مع الآخرين حسب مراحلهم العمرية.

يجب على المؤمن أن يتأمل ويتعلم من مراحل نمو الإنسان الشيء الكثير لأنها تدل على عظمة الله سبحانه وتعيينه الفرد على الإعداد لكل مرحلة. قال تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ" (سورة الحج: آية 5). يبدأ الطفل ضعيفا في أول مرحلة عمرية ثم ينمو تدريجيا فتشند بنيته الجسدية، وتتفتق مواهبه الفكرية، وتتجلى قوة عقليته في سن الرشد حيث اكتمال العقل وحسن الاختيار والتصرف ويبلغ العقل أجلي مظاهره عندما يثمر الحكمة والحلم وجمال العلم وبذلك يصل العقل إلى أوج مجده المؤثل. وفي آخر محطة يعود الإنسان كما كان تحيط به الأسقام الجسدية، والآلام النفسية أما العقل في آخر محطة يفقد ما تم تعلمه تدريجيا ويسير نحو الضمور والضالة بعد أن بلغ في مرحلة الرشد أشد وأرفع وأنضر حالاته. أرذل العمر لأن الفرد يفقد الكثير بسهولة ولا يرتقي إلا بصعوبة.

أشار القرآن إلى ضرورة تدبر مراحل العمر فقال سبحانه { وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ } (يس: 68). ورد في تفسير أضواء البيان في تفسير القرآن للشنقيطي "نُقِّلَهُ فِيهِ، فَخَلَقَهُ عَلَىٰ عَكْسِ مَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ، وَذَلِكَ أَنَا خَلَقْنَاهُ عَلَىٰ ضَعْفٍ فِي جَسَدِهِ، وَخُلُوٍّ مِنْ عَقْلِ وَعِلْمٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ يَتَزَايَدُ وَيَنْتَقِلُ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، وَيَرْتَقِي مِنْ دَرَجَةٍ إِلَىٰ دَرَجَةٍ إِلَىٰ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَيَسْتَكْمِلُ قُوَّتَهُ وَيَعْقِلَ وَيَعْلَمَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ، فَإِذَا انْتَهَىٰ نَكَّسْنَاهُ فِي الْخَلْقِ، فَجَعَلْنَاهُ يَتَنَافَسُ حَتَّىٰ يَرْجِعَ فِي حَالٍ شَبِيهَةٍ بِحَالِ

الصَّبِيَّ فِي ضَعْفِ جَسَدِهِ، وَقَلَّةِ عَقْلِهِ، وَخُلُوهٍ مِنَ الْعِلْمِ. وَأَصْلُ مَعْنَى التَّنْكِيسِ: جَعْلُ أَعْلَى الشَّيْءِ أَسْفَلَهُ".

قال سيد قطب "والشيخوخة نكسة إلى الطفولة. بغير ملاحظة الطفولة وبراءتها المحبوبة! وما يزال الشيخ يتراجع، وينسى ما علم، وتضعف أعصابه، ويضعف فكره، ويضعف احتمالته، حتى يرتد طفلاً. ولكن الطفل محبوب اللثغة، تبسم له القلوب والوجوه عند كل حماقة. والشيخ محتوى لا تقال له عثرة إلا من عطف ورحمة، وهو مثار السخرية كلما بدت عليه مخايل الطفولة وهو عجوز". "فالشيخوخة انحدار إلى الطفولة بكل ظواهرها. وقد يصاحبها انحدار نفسي ناشئ من ضعف الإرادة ليهفو الشيخ أحياناً كما يهفو الطفل، ولا يجد من إرادته عاصماً. ومع الشيخوخة الشيب، يذكر تجسماً وتشخيصاً لهيئة الشيخوخة ومنظرها" (في ظلال القرآن، تفسير سورة الروم، الآية 54).

ومن الزاوية الطبية فإن "المقصود بالتنكيس في الخلق هو ما تفضي إليه الشيخوخة من الضعف والعجز - على تفاوت بين الناس في ذلك - إن أوغل بهم العمر. ومردّها إلى نقص حصيلة المخ من الأكسجين نتيجة تصلب شرايينه Cerebral Atherosclerosis على مرور الزمن ومن ثم التأثير السليبي على أدائه. وأشيع ما يكون ذلك في حالة الخرف الشيخوخي Senile Dementia إذ تدوي الوظائف الذهنية وتتغير شخصية الإنسان وتضعف ذاكرته خاصة للأمور الحديثة، فقد يذكر القديم، وتذبل حدة التمييز، وقد يهمل نفسه غذاء وملبسا ومظهرها وتعتره نوبات مزاجية عاطفية حتى ليبدو وقد تقهقر إلى دور الطفولة، وهذه التغيرات من معالم الشيخوخة. ومن المهم - خاصة إن أصابت في سن دون الشيخوخة - استبعاد الحالات المرضية التي تحدث أعراضاً متشابهة، وقد يكون لها أسباب قابلة للعلاج أو تكون عصبية عليه وذلك مثل مرض الزهايمر Alzheimer وهو من أنواع الخرف دون الشيخوخي. (موسوعة الكويت للتقدم العلمي، 2005م ص 178). قال جل وعلا "وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ" (النحل: 70).

من هنا فالمسلم يعتنم شيخوخة والده للتقرب منه والتواصل معه حيث قد تتكالب عليه الأمراض وتضعف مداركه فيكون للصديق أحوج. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ". قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ" (رواه مسلم). قال النووي ومعناه: أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة. وقال القرطبي: "خصّ حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى برّه لتغيّر الحال عليهما بالضعف والكبر؛ فالزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل، لأنهما في هذه الحالة قد صاراً كلاً عليه،

فيحتاجان أن يلبّي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يلبّي منه؛ فلذلك خصّ هذه الحالة بالذكر".

الفصل الثاني: ممارسات

مهارات التواصل مع الأب

يعد عدم التعود على الصداقة الأسرية في سن مبكرة سبباً لمشكلات اجتماعية لاحقة حيث تظهر صعوبة التواصل وازدياد الفجوة بين الآباء والأبناء كلما مر الوقت. ورغم ذلك فإن الميل الفطري لدى الإنسان نحو مزاولة الفضائل والتواصل مع الآخرين خير طريق لإنشاء روابط أسرية أكثر نضجاً وأغزر عمقا. ويعتبر التكيف ضرورة حياتية للكائنات الحية جميعا كي تشق طريقها نحو البقاء وكي تكون قادرة على التأقلم ولهذا نجد النزوع الفطري للإنسان نحو الانسجام مع الناس وسيلة لتربيته نحو تشكيل علاقات إنسانية ترفد حياته بمزيد من السلام الداخلي والأنس الاجتماعي.

إن فهم طبيعة المجتمع وخلفياته الثقافية، والظروف المحيطة للفرد فضلا عن السمات الشخصية، أقرب الطرق وأعدلها لاستيعاب أدوارنا الاجتماعية وتطوير أنفسنا لأدائها على أكمل وجه. يدرك علماء الاجتماع أن لكل مجتمع ثقافته التي تحدد علاقة الأب بابنه ولا شك أن السمات الفردية والأحوال المعيشة تلعب دورها في طريقة القيام بأدوارنا الاجتماعية.

"إن كل مجتمع من المجتمعات المتعددة، التي يمكن التمييز بينها على أسس ثقافية أو اجتماعية أو دينية أو إثنية، أو اقتصادية، لا يتميز من غيره بمكوناته فحسب، والتي يمكن أن تكون مظهراً من مظاهر الخصوصية، إنما يتميز من غيره بالشكل الذي تنتظم فيه هذه المكونات، والتي تحدد أشكال التفاعل، وطبيعة الحقوق والواجبات المترتبة على الأفراد في سياق التنظيم العام، فالأسرة في المجتمع الريفي لا تختلف عن الأسرة في المجتمع الصناعي، من حيث مكوناتها فقط (والتي قد تتشابه في كثير من الأحيان)، إنما في منظومة العلاقات التي تحدد أوجه التفاعل بين الآباء والأبناء، وبين الذكور والإناث، وبين الكبار والصغار، وبين الزوج والزوجة، وغيرها، وبذلك تختلف الأسرة الريفية عن الأسرة الحضرية، وينطبق الأمر على اختلاف المجتمع الحضري عن المجتمع الريفي، وكذلك الحال للمجتمع العربي عن المجتمع الغربي، وغيره" (الموسوعة العربية، 2004م، المجتمع).

ومن مكملات هذا الإطار أنه لا بد من استيعاب عقلية الأب ونمط تفكيره وعدم المساس بأحاسيسه. يتضايق الشاب من والده عندما يقوم بتمجيد ثقافة الماضي وتضخيم محاسنه وعلى الابن أن يقدر ذلك ويحاول فهمه فالإنسان عموماً يحن إلى العصر الذي كان فيه شاباً قويا وقد يضخم لا شعورياً

العصر يعيش فيه ومن الغريب أن كثير من الناس ينطبق عليهم المثل "نحن نحب الماضي لأنه ذهب، ولو عاد لكرهناه":

We have nostalgia for the past because it is gone. If it comes back we would hate it.
ولضمان علاقة سرمدية بين الابن ووالده فلا بد من التحقق من التحلي بالصدق، وإذا كان
الصدق واجبا في التعامل مع الناس فهو أوجب في التعامل مع الأب. الصدق مفتاح كل خير وكما قال
الشاعر:

خيرُ الصديقِ هو الصدوقُ مقالَةً وكذلك شُرُهُمُ المنونُ الأكذبُ
فإذا غدت له تريدُ نجازَه بالوعْدِ راغٍ كما يَرُوغُ الثعلبُ

التخلي بالأخلاق الحسنة والقيم الحميدة خير وسيلة للبر بالوالدين وإثراء الحياة العامة. الأخلاق أفضل رأس مال. يعتقد فتح الله كولن أن "الضمير ومفاهيم الأخلاق والتربية والخلق الدمش والكياسة والرقعة رأسمال كبير في كل مملكة... رأسمال لا يتأثر بصعود أو هبوط الأسهم في الأسواق المالية. والذين يملكونه يشبهون التجار من ذوي السمعة الجيدة والمكانة المرموقة الذين يستطيعون التعامل مع الجميع حتى وإن لم يملكوا رأسمالاً آخر."

يقول أ.د. علي وطفة "تأخذ القيم الأخلاقية طابعا إنسانيا كونيا أو محليا، وهذه القيم يجب أن تتعلم وتكون محورا للتربية في اتجاه المصالح الإنسانية العامة في مختلف الثقافات وفي دائرة التنوع الثقافي في المجتمعات الإنسانية. وتعليم هذه القيم لا يجب أن يأخذ صيغة شكلية، بل يجب أن تؤصل وعيا راسخا في وجدان الفرد الداخلي. ففي فرنسا على سبيل المثال وليس الحصر توجد قائمة تتضمن ثمانية عشر قيمة أخلاقية تعمل المدرسة على صقلها في وعي الطلاب وعقولهم وهي: الكرم، التسامح، الإخلاص، والرحمة، العفة والنزاهة، الصبر والتأني، الشفقة، الرقة واللطف، الاعتدال، الشكر والعرفان، الصدق، الشجاعة، التواضع، الدعابة والظرافة، العدالة، البساطة، الحب".

لا ريب أن الاقتداء بالأخلاق النبوية سبيلنا إلى الحياة الطيبة. قال رب العزة {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب: 21). قال المفسرون "لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال" (التفسير الميسر).

لقد كان صلى الله عليه وسلم "دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صَحَّاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يقنط منه. قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه. يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجاوزه إلى غيره. وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره" (المباركفوري، الرحيق المختوم، بتصرف).

الابتسامة تسحر النفوس وتأسرها بالإحسان. الابتسامة المعبرة عن الرضا سنة نبوية وفي الحديث "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ" فكيف بأقرب الناس؛ والدك. وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم "كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان بساماً". ولهذا قالوا "والبشاشة مصيدة المودة". يعتقد المرءون حول العالم أن للابتسامة قوة خفية تستطيع أن تحقق خمسة أهداف؛ السعادة، الصداقة، الدفء، الحب، الانتماء (p. 84، 2009، Ravi). الابتسامة الصادقة والالتفات إلى الجوانب المضيئة تجلب السكينة. "وكلما كانت الابتسامة حاضرة كلما أصبح اللقاء العائلي أكثر قدرة على توصيل الرسائل الإيجابية المتبادلة بين أفراد الأسرة مما يشجع على المزيد من التواصل والحوار، ويكسر الحواجز، ويذيب الخلافات، ويقرب بين المسافات الفكرية والتوجهات الشخصية" (النعيمي، 2005م، ص 34). الابتسامة عظيمة الأثر، كثيرة الثمر. جاء في مثل دافماركي: وجه بلا ابتسامة كحديقة بلا أشجار.

من المهم أن يهتم الابن باللطف والمودة وحسن اختيار عباراته ويوزنها لا سيما في التعامل مع الأب. "إن الكلمة تعبير حي عن الشخص والواقع والهدف، فإذا اقتربت من اللامعنى أو من اللاهدف، أو من اللاجدية، كانت انحرافاً عن المسؤولية التي هي سر حياة الإنسان. وليس معنى ذلك أن تكون الحياة جدّاً كلها، لا مجال فيها للهو أو المزاح، ولكن معنى ذلك أن يكون هناك هدف، حتى للهو أو المزاح، كأن تهدف لإعادة النشاط إلى الإنسان أو أن تساعد على التخفيف من مشاكله النفسية المعقدة وما إلى ذلك" (بداية تفسير سورة المؤمنون لمحمد حسين فضل الله). وقريب من هذا المعنى الرفيع يقول سيد قطب "والطاقة البشرية محدودة. وهي إما أن تنفق في هذا الذي يصلح الحياة وينميها ويرقيها؛ وإما أن تنفق في الهدر واللغو للهو. والمؤمن مدفوع بحكم عقيدته إلى إنفاقها في البناء والتعمير والإصلاح. ولا ينفي هذا أن يروح المؤمن عن نفسه في الحين بعد الحين. ولكن هذا شيء آخر غير الهدر واللغو والفراغ".

الصمت في حينه من مكارم الأخلاق، ولهذا قال الحكماء "رحم الله عبداً قال خيراً فَعَنِمَ أو سَكَتَ فسلم. اللسان خطير، ولخطورته جعل الله سبحانه وتعالى له قفلين؛ قفل الأسنان، وقفل الشفتين، حتى لا يفتح عما يقال إلا بعد وزنه والتفكير فيه". وقال فرانسيس بيكون "الصمت هو النوم الذي يغذي الحكمة". قال الشاعر:

الصَّمْتُ أَزْيَنُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ
وَالصِّدْقُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى فِي الْقَوْلِ عِنْدِي مِنْ يَمِينِهِ
وَعَلَى الْفَتَى بَوَقَارِهِ سِمَةٌ تُلَوِّحُ عَلَيَّ جَبِينِهِ
فَمَنْ أَلْذِي يَخْفَى عَلَيَّ كَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى قَرِينِهِ

والإنسان البار بوالديه هو يقينا الابن الذي يؤمن بأن العلم كسب واختيار وفضل من الله فلا يضيع أوقاته بما لا ينفع. قال معاذ رضي الله عنه: تعلموا العلم. فإن تعليمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وبذله صدقة. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: الناس رجلان؛ عالم ومتعلم، ولا خير فيما سوى ذلك. ويقال: من ذهب إلى عالم وجلس عنده ولم يقدر على حفظ شيء مما قاله أعطاه الله سبع كرامات، أولها: ينال فضل المتعلمين. وثانيها: ما دام عنده جالساً كان محبوباً عن الذنوب والخطايا. وثالثها: إذا خرج من منزله نزلت عليه الرحمة. ورابعها: إذا جلس عنده نزلت الرحمة على العالم فتصيبه ببركته. وخامسها: تكتب له الحسنات ما دام مستمعاً. وسادسها: تحفهم الملائكة بأجنتهم وهو فيهم. وسابعها: كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفارة للذنوب ورفعاً للدرجات وزيادة في الحسنات. هذا لمن لم يحفظ ويفهم شيئاً، وأما الذي يحفظ ويفهم فله أضعاف ذلك مضاعفة. قال الشاعر:

العِلْمُ يُخَيِّ قُلُوبَ الْمُتِّينِ كَمَا تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ
وَالْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنِ قَلْبِ صَاحِبِهِ كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرِ

ولا ريب أن النظر من حين لآخر في بعض الشمائل النبوية فرصة أسرية عظيمة لمناقشة وتبيان عظمة السيرة النبوية العطرة فإنها بحر المحبة ونبوع المودة. ضربت لنا السيرة النبوية أروع الأمثلة التربوية في ميادين حياتية مختلفة. ورد في الشمائل النبوية كان صلى الله عليه وسلم "أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدباً، وأبسط الناس خلقاً، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا لعاناً، ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحداً يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مآكل ولا ملبس، ويخدم من خدّمه، ولم يقل لخدمه أف قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان

يجب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنازتهم، ولا يحقر فقيراً لفقره. كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: علي ذبحها، وقال آخر: علي سلقها، وقال آخر علي طبخها، فقال صلى الله عليه وسلم: (وعلي جمع الحطب)، فقالوا: نحن نكفيك. فقال: (قد علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه)، وقام وجمع الحطب" (المباركفوري، الرحيق المختوم). هكذا تكون الصحبة الحسنة في البيت وخارجه، وفي الحضر والسفر، ومع الكبار والصغار وبهذا الصنيع تصبح القلوب صافية، والعقول واعية، والتواصل ناصعا.

وفيما يلي مجموعة خطوات تزيد من مهارة التواصل الأسري وهي من مقومات حسن الصلة بين

الأبناء والآباء:

- 1- وضع صداقة الوالدين ضمن أهدافك الشخصية.
- 2- تقبيل رأس الوالد لا سيما في المناسبات تكسبك رقة قلب نحوه.
- 3- الاشتراك مع والدك في أنشطة ترويحية متنوعة (سفر، رحلة الربيع في البر، الذهاب للشاليهات، مشاهدة أفلام سينمائية).
- 4- الإخلاص في التواصل. إن الغاية من البر بالوالدين ومصاحبتهما إرضاء الله سبحانه بعيدا عن الرياء ومحمدة الناس فإن الله سبحانه عليهم بما تحفي الصدور ولا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه. الرياء في الإسلام من أبغض السلوكيات، شهدت الأدلة العقلية والنقلية المحكمة بدمه. "الرياء هو إظهار العمل للناس ليروه ويظنوا به خيراً، فالعمل لغير الله"، فكل ما يفعل العبد من أوله ليرائي به الناس ويكون ذلك قصده ومراده فهو رياء. قال الغزالي "الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين".
- 5- قبل أن تتحدث اسأل نفسك "دعني أفكر أولاً: أهذا لطيف؟ أهذا حقيقي؟ أهذا ضروري؟ إن لم يكن كذلك، فمن الأفضل أن لا أبوح به" (بيتر، 2010م، ص 73).
- 6- المحافظة على العادات الجيدة الصغيرة (الاتصال الهاتفية اليومي، المصافحة، الابتسامة) فهي التي تشكل علاقاتنا فلا تحقرن من المعروف شيئاً فالأجرام الكبيرة تتكون من ذرات صغيرة، والبحار في حقيقتها قطرات، والجبال من الحصى فلا تهمل صغائر الأمور التي تؤدي إلى نتائج باهرة.
- 7- التفنن في خدمة كبار السن ومعرفة سبل ذلك وتطبيقه مع الوالد. وفي الحديث: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِّرْ كِبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ". وفي الأثر "مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً لَسِنِّهِ إِلَّا قِيَضَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ سِنِّهِ مَنْ يُكْرِمُهُ".
- 8- حسن الاستماع لكبار السن.

- 9- طبق ما ينصحك به والدك إن أمكن وأخبره بذلك وأخبر من حولك.
- 10- اغتنم مرحلة الشباب والقوة لأخذ الأب لأداء لحج والعمرة وصالح الأعمال. وفي الحديث النبوي الشريف "اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك". كانت حفصة بنت سيرين تقول: "يا معشر الشباب اعملوا فيما العمل في الشباب".
- 11- تعامل مع أبيك بسماحه ولا تشعره بأنه مريض أو طاعن في السن. تعطف عليه فالأب الصديق يريد منا مشاعر المشاركة أكثر من أحاسيس الشفقة. احذر من تقديم الرعاية بلسان السخط والتأفف واعلم أن المريض لا يلام. قال العلماء "شترُ خصال الولد في رعاية حق والديه أن يتبرم بطول حياتهما، ويتأذى بما يحفظ من حقهما".
- 12- احذر من الحديث عن سلبيات كبار السن واحذر من ذكر النوادر والمنح التي تقلل من شأن كبار السن.
- 13- سلط الضوء على إيجابيات الأب قولاً وفعلاً.
- 14- احتسب الأجر ولا تطمع بما يملكه والدك فتهلك وكما قيل "تُقَطَّعَ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعِ، أَخْرَجِ الطَّمْعَ مِنْ قَلْبِكَ، تَحَلَّ القَيْدِ مِنْ رِجْلِكَ. لا تغرس بذر الطمع في قلبك، فتخرج شجرة من الذل، وتتشعب أغصانها. فإن الطمع أصل جميع الآفات؛ لأنه موجب للوقوع في عظيم المهلكات".
- 15- قم بتلبية رغبات والدك واجتهد، ولا تتعلل بكثرة المشاغل وضيق الوقت. قال الحسن: البر أن تطيعهما في كل ما أمرك به، ما لم تكن معصية الله، والعقوق هجرانها، وأن تحرمهما خيرك.
- 16- لتحقيق كل ما سبق عليك بحسن علاقتك مع الله سبحانه. قال العلماء "وسبيلُ العبدِ في رعاية حق الوالدين أن يُصْلِحَ ما بينه وبين الله، فحينئذٍ يُصْلِحُ ما بينه وبين غيره - على العموم، وأهله - على الخصوص.. أمر الله الإنسانَ برعاية حقِّ والديه على الاحترام، لما لهما عليه من حق التربية والإنعام".
- 17- تحصن بالصحبة الصالحة ممن يحبون العلم ويحثونك على البر لكي تسير حياتك على خير ما يرام. قال الشافعي: مَنْ لَا يُحِبُّ العِلْمَ لَا حَيْرَ فِيهِ فَلَا يَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ وَلَا صِدَاقَةٌ، فَإِنَّهُ حَيَاةُ القُلُوبِ وَمِصْبَاحُ البَصَائِرِ.
- 18- الدعاء بظهر الغيب، وفي جوف الليل عظيم في أثره لاستنزال البركة وديمومتها. اللهم "ارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب، وتنقى الجيوب، حتى نتعايش في هذه الدار مصطلحين على

الخير، مؤثرين للتقوى، عاملين شرائط الدين، آخذين بأطراف المروءة، آنفين من ملابسة ما يقدح في ذات البين، متزودين للعافية التي لا بد من الشخصوص إليها، ولا محيد عن الاطلاع عليها، إنك تؤقي من تشاء ما تشاء (التوحيدى، 2007م، ص 25).

صفات الابن الصديق لأبيه

- 1- التحلي بالحرص على توثيق العلاقات يجعل الصداقة ممكنة والجد يجعل البعيد قريباً. الشخص الحريص الحكيم هو الذي يظفر بمراده، ويدرك مبتغاه، ويصل إلى مأموله من الخير والبر في صلة الأرحام عبر نظرات ثابتة، ويرامج حركية، وممارسات واقعية. ومن أبرز مظاهر الشخص الحريص أن يبذل كل وسعه في تحصيل مراده. ستكون للحياة قيمة أكبر ولذة أعظم إذا حرصنا على اعتبار والدنا صديقاً قريباً ناضل من أجل التوافق معه، ونسعد بقربه ونيل رضاه.
- 2- حسن الطوية. الطوية الصالحة تجعل الفرد متوافقاً مع نفسه متكيفاً مع بيئته الأسرية وغيرها. علاوة على ذلك فإن الطوية الحسنة أساس الرشد والصلاح وطوبى لمن طوي باطنه على مثل ظاهره في الخير. قال الشاعر:

حُسْنُ الطَّوِيَّةِ فِي الْكَرِيمِ سَجِيَّةٌ تَخْفَى وَيُظْهِرُهَا جَمَالُ الظَّاهِرِ

- 3- المبادرة إلى الحوارات الناضجة لأنها تحسن الصلات الاجتماعية وترتقي بالملكة الفكرية.
- 4- لا بد من شكر الله على نعمة البيان والحوار والتفاهم والتجاوب وكلما استشعرنا ذلك عرفنا للحوارات قدرها وأنزلناها منزلاً صحيحاً في حياتنا وبذلك يحقق الإنسان إنسانيته. لا بد من استيعاب وتشرب هذه المعاني النبيلة فمن لا يؤمن بأهمية الحوارات الأسرية لا يمكنه استثمارها حق الاستثمار.
- 5- المعرفة بالأوقات التي يود الأب أن يتحدث فيها، والأماكن التي يجيها. اعرف التصرفات التي تعجب والدك لتكثر منها وابتعد عن التصرفات التي لا يجيها.
- 6- اللين في القول. قال علماؤنا "واعلم أن الله تعالى بين أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يتفرون عنه لو كان فظاً غليظاً... فكيف يتوقع من يعامل الناس على خشونة اللفظ مع قسوة القلب أن ينقاد الناس كلهم له ويتبعوه ويطاعوه فاللين في القول أنفذ في القلوب وأسرع إلى الإجابة وادعى إلى الطاعة".
- 7- إحسان الظن. قال الشاعر:

شَرُّ الوَرَى بمساوى الناس مَشْتَعَلٌ مثل الذباب يراعي مَوْضِع العِلَلِ

8- تحري الصدق. الصادقون في عواطفهم أشد حرصا على التواصل مع آبائهم بلهجة صريحة، ومهجة محبة.

9- عدم الخوض في اللغو أدب عظيم من آداب المعاملة الحسنة. الكلام الذي لا فائدة منه قد يجر المرء للجدل العقيم كما أن الحديث الذي لا جدوى منه قد يثير الفتن بين الأقرباء فيمزق الشمل. قال الزمخشري في تفسيره الكشاف "اللغو: ما لا يعينك من قول أو فعل، كاللعب والهزل وما توجب المروءة إغائه وإطراحه يعني أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل".

10- الخوف من عقوق الوالدين. قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} (النور: 63). وضع البخاري في صحيحه "عقوق الوالدين من الكبائر" وهو قطع الصلة بينه وبينهما، وعدم البر بهما وإساءتهما. جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ. وورد في الأثر "كل الذنوب يؤخر الله تعالى ما شاء منها إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين؛ فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات. ثلاثة لا يجدون ربح الجنة، وإن ربحها توجد من مسيرة خمس مئة سنة: العاق لوالده، ومدمن الخمر، والبخيل المنان". قال العلماء "ومقابلة الإنعام بالمعصية لا شيء أقبح منه ومن ثم كان عقوق الوالدين عظيماً لما يجب من شكر أنعمهما".

11- القدرة على التركيز فالتركيز هو سر النجاح في الأمور الدينية والصحية والسياسية والتجارية وفي العلاقات الإنسانية والأسرية وهو إجمالاً المقياس الصحيح الذي يمكن به الحكم على شخصية الفرد وحسن توازنه. تشتت الفكر هو سبب وجود شخصيات مهلهلة لا تصمد في التواصل مع الآخرين.

12- عدم الاغترار بما تقدمه لأبائنا فكما قيل "من قال أنه وصل فهو مازال في أول الطريق". لا يتم الوفاء بحق الأب أبداً مما يستلزم طول العمل والإحسان بلا نكران. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَا يَجْزِي وَكَدَّ وَالِدُهُ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ" (رواه مسلم). وهذا الحديث كما قال بعض العلماء من قبيل التعليق بمحال للمبالغة. قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن لي أما بلغ منها

الكبر إنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، فهل أدت حقها؟ قال: لا؟ لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها.

- 13- بث الأمل في نفس الأب فما "أضيق العيش لولا فسحة الأمل".
- 14- إن فن الإنصات وسيلة أكيدة لكسب النفوس وكسر الجمود. قال تعالى {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} (الزمر: 18). وهذا هو مسلك التعامل الرفيع مع الآخرين على مستوى حركة العلاقات الشخصية وانفتاح الإنسان على الآخر.
- 15- قال ابن القيم الجوزية "من أفضل أخلاق الرجل وأشرفها وأعلاها الإيثار، وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبته، كما جبلها على بغض المستأثر ومقته، لا تبديل لخلق الله. والأخلاق ثلاثة: خلق الإيثار، وهو خلق الفضل. وخلق القسمة والتسوية، وهو خلق العدل. وخلق الاستئثار والاستبداد وهو خلق الظلم. فصاحب الإيثار محبوب مطاع مهيب، وصاحب العدل لا سبيل للنفوس إلى أذاه والتسلط عليه ولكنهما لا تنقاد إليه انقياداً لمن يؤثرها، وصاحب الاستئثار النفوس إلى أذاه والتسلط عليه أسرع من السيل في حدوره".
- 16- الجود والإباء. قال جبران خليل جبران "الجود أن تعطي أكثر مما تستطيع، والإباء أن تأخذ أقل مما تحتاج إليه".
- 17- التخلق بما تعلمناه ودرسناه وتربينا عليه وإلا لا قيمة لنا بلا أخلاق ولا قيمة لكل ما تعلمناه ويكون العلم حجة علينا ونقمة لحياتنا وكما يقول المثل الصيني ما أشبه التعليم بالمجداف إن لم تتقدم به للأمام عاد بك للوراء.
- 18- الاستفادة من الأب علماً وأدباً وعزيمة وهداية.
- 19- أبرز الصفات التي يرغبها الرجال في الأصدقاء المقربين لهم التركيز -التواضع- الصراحة- حسن الخلق- الواقعية- خفة الظل-الثبات-الجدية والاجتهاد-الإبداع وسعة الخيال-تفتح العقل- الأمانة- الشجاعة (هاينز, 2009م، ص 57).
- 20- الإيمان بأن السعادة والصداقة كسب واختيار وفضل من الله سبحانه.
- 21- عليك أيها الابن الصالح رعاك الله أن تتأدب بالآداب القرآنية فلا تقل لهما أف، ولا تنهرهما، وقل لهما قولاً كريماً، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما.

أنشطة تجمع ولا تفرق

- 1- مصاحبة الوالد إلى المسجد حيث الإيمان والسكينة. قال جل ثناؤه {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} (التوبة: 18).
- 2- التسوق مع الوالد - من حين لآخر- لشراء حاجياته الشخصية أو المنزلية فرصة للتواصل والتقارب وتبادل الحوارات الجانبية.
- 3- طلب العلم. وكان من هدي السلف الصالح أنهم يحرصون على أخذ أولادهم معهم إلى جلسات العلم رغم أن الأب قد يكون بلغ من الكبر عتيا. كان أبو الفرج ابن الجوزي يطلب العلم في آخر عمره وهو في عمر الثمانين وكان ابنه يصاحبه.
- 4- العمل لبضع ساعات في عمل تطوعي يخدم الوطن عبر منظمة من منظمات المجتمع المدني من مثل التبرع بالدم أو دعم المعارض الخيرية، أو المساهمة في تنظيف البيئة لبضع ساعات. يشير مصطلح المجتمع المدني إلى مجموعة واسعة النطاق من المنظمات غير الحكومية والمنظمات غير الربحية التي لها وجودٌ في الحياة العامة وتنهض بعبء التعبير عن اهتمامات وقيم أعضائها أو الآخرين وتضم: الجماعات المجتمعية المحلية، والمنظمات غير الحكومية، والنقابات العمالية، والمنظمات الخيرية، والمنظمات الدينية، والنقابات المهنية، ومؤسسات العمل الخيري.
- 5- ممارسة رياضة المشي والحركة والرياضة فهي من دعائم الصحة البدنية والذهنية والنفسية والاجتماعية أيضا. المشي رياضة خفيفة على النفس، مفيدة للجسم، وتحرك الدورة الدموية، وتحد من الأمراض المزمنة وغيرها، وتقلص الضغوط النفسية، وهي رياضة تخفف الوزن. إن المشي بقرب البحر أو في الحدائق الواسعة أو في الأسواق المريحة فرصة ثمينة للطرفين؛ الولد والأب لتغيير الأماكن، وكسر الرتابة والروتين في حياتهما، والاستمتاع بنعمة الصحبة. الذهاب إلى المشى سلوك حضاري لجميع الأعمار يشد الجسد بالحركة اللطيفة، ويوطد العلاقات بالمحادثة الخفيفة. اجعل لنفسك ممشى الحبة والصدافة والصحة واجعل لوالدك نصيبا معك يشاركك من حين إلى حين.
- 6- شرب الشاي والقهوة أو العصائر الطازجة في أماكن متنوعة وسيلة لكسر الروتين، وتحديد النشاط.

- 7- اصحب والدك لزيارة الأصدقاء وتفقد المرضى من باب توثيق المودة وتحمل المسؤولية المجتمعية. ورد في سنن الترمذي: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من عادَ مريضاً أو زارَ أخاً له في الله ناداهُ مُنادٍ أَنْ طِيبَ وطابَ ممشاكُ وتبَوَّأتُ من الجنةِ منزلاً).
- 8- رحلات البر والبحر والأسفار القصيرة ... مشاريع صغيرة ذات شحنات اجتماعية عظيمة تكسب المودة كسبا، وتزيد المحبة تألقا. إن السفر يكشف للمرء صفاء الأصدقاء وقوة القرابة ويقضي على الكدر والكآبة والحزن والملل وينزع بقايا الجفوة بين النفوس.
- 9- الاجتماع الأسري لمشاهدة بعض المباريات الرياضية المحلية أو الدولية المفضلة لديهم فإن هذه الرياضات تولد التقارب في المشاعر وقضاء أوقات ممتعة ومسلية بصحبة أعز الناس. تقوم بعض الأسر بتجهيز الأطعمة والمكان المناسب طمعا في ترغيب الجميع في البقاء في المنزل والالتقاء وتبادل التعليقات الطريفة والتحليلات الفنية. يمكن أحيانا استضافة بعض الأقرباء والأصدقاء من المتحمسين لهذا النشاط للمشاركة في المشاهدة. لقد غدت مشاهدة الألعاب الرياضية عادة شعبية محببة لدى معظم الشباب وبعض كبار السن في حياتنا اليومية المعاصرة. أخذ خط الاحتراف يثير المزيد من الإلتقان الرياضي ويستقطب أنظار الملايين حول العالم. يمكن للابن أن يصحب والده في الأسفار إلى بعض الأندية العريقة والتقاط الصور فيها فهي تجربة ثقافية ميسورة وطريفة.
- 10- رحلة الحج والعمرة ذكرياتها باقية وآثارها دائمة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَقَارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الدُّنُوبِ وَالْحَطَايَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» (رواه أحمد). قال العلماء: "السَّرُّ فِي تَفْضِيلِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ظَاهِرٌ فِي انْجِدَابِ الْأَفئِدَةِ، وَهُوَ الْقُلُوبِ وَمَحَبَّتِهَا لَهُ، فَجَذِبَهُ لِلْقُلُوبِ أَعْظَمُ مِنْ جَذْبِ الْمَغْنَطِيسِ لِلْحَدِيدِ، فَهَمَّ يَثُوبُونَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ وَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا، بَلْ كَلِمَا أزدادوا له زيارة، ازدادوا له اشتياقًا.
- لا يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقاً"
- 11- التحدث عن أهدافكما المشتركة والتخطيط للأنشطة المتصلة بها (توفير احتياج المنزل- الادخار- قضاء إجازة خارج البلد...) من العوامل المساهمة في تنمية التجاوب العاطفي، والتوافق الاجتماعي وتطوير العلاقة الإنسانية بين الابن ووالده.

12- إذا عملت وليمة لأي مناسبة اجتماعية اغتنم الفرصة لدعوة والدك إذا كانت تناسبه ويميل للمشاركة فيها وخصص من حين لآخر ولائم خاصة له يحضرها المقربون لديه.

التفاهم مع الأب والتقرب إليه

إن رقي وتقدم أي مجتمع مرتبط بمدى نجاح التربية الأسرية في إيجاد قنوات التفاهم، تلك القنوات المؤدية إلى ميدان تعميق علاقاتها الاجتماعية وتكوين وحدة في الفكر والسلوك، وتوافق في الروح والمشاعر. والتفاهم والتقرب من الأب وبناء جسور التواصل هي بوابة كبرى لتصبح آصرة الصداقة مصدراً للأمن النفسي، ومورداً للطمأنينة الاجتماعية التي لا يتمكن الشاب من إشباعها إلا من خلال الأسرة أولاً. وفي سعينا نحو مد جسور التواصل مع والدنا ثمة اعتبارات ومعطيات يجب مراعاتها وإدراكها وسوف نتعرض لجملة منها في إشارات عابرة تربط النظرية بالتطبيق.

الصداقة بين الأبناء وبين الآباء من أسلم الطرق لتقليص صراع الأجيال. يستخدم مصطلح (صراع الأجيال) كما يقول (الشماس ، 2004م) للدلالة على تلك الفروقات النفسية والفكرية، والتي ينجم عنها فجوة (هوة) بين آراء الكبار ومواقف الشباب، تجاه كثير من الأمور الحياتية، وهذا يؤدي بالتالي إلى اختلافات اجتماعية بين الأجيال. وهذا يعود إلى اختلاف الزمن (العصر) الذي عاشه الكبار عن الزمن الذي يعيشه الشباب، هذا الزمن الذي يختلف كلياً أو جزئياً- بمنطلقاته وعلاقاته، لدى كلٍ منهما. إنَّ صراع الأجيال هو صراع بين جيل الكبار وجيل الشباب، هذا الصراع الذي يحدث في اللحظة الحرجة من عمر الشباب، هي فترة المراهقة، فترة التحول البيولوجي والنفسي والفكري والاجتماعي. وأنَّ جزءاً لا يستهان به من هذا الصراع يأتي من أزمة تعامل الكبار مع الشباب، وعدم قدرة هؤلاء الكبار على تفهم هذه التحوّلات، ممّا يؤدي إلى تمرد الشباب على الواقع الذي لا يقدرهم ولا يعترف بوجودهم كأشخاص مميزين.

ومن التقنيات الاجتماعية المحببة لقلب الأب أن يشاهد ابنه يسأله أسئلة وجيه بدافع التعلم والتحاوّر واقتناص الفرص. وهنا يشعر الأب أن خبراته العريضة في الأسرة وجهة العمل ومع الأصدقاء مصدر شغف الأبناء ومحل سمرهم، ودرسهم، وعنايتهم. إن الابن الذي يحسن فن السؤال في حضرة والده هو ابن حكيم يريد أن يستفيد من عصارة التجارب في تنقيح عقله. قد يتفوق الابن بالمهارات ومعرفة ثروة العلوم إلا أن خبرات الماضي لا يستغني عنها المرء الذي يريد بناء شخصية سوية. على الابن أن يواجه الأسئلة المفيدة لأبيه يستشيرها في أمور دنياه وآخرته وينتقي من التوجيهات والاستشارات أنفعها.

ولا شك أن الحوار بين جيل الأبناء والآباء يشمل مساحات الدنيا والدين. ذكر الغزالي في إحيائه مثالا رائعا للابن الصالح الذي يتخذ من السؤال مدخلا للتواصل والتحاور مع والده دينيا. قال الغزالي "قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: يا أبت أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين، قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال. قال: فإذا كانت ثلاثاً؟ قال: الدين والمال والحياء، قال: فإذا كانت أربعاً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق، قال: فإذا كانت خمساً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قال: فإذا كانت ستاً؟ قال: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي والله ولي ومن الشيطان بريء".

وعندما يمدح الابن والده ويثني على الأفكار النافعة فإن مساحات التفاهم والثقة والاحترام تتوسع وتعمق فالبشر يتوق للتقدير، ويشتاق للمدح الصادق، ويأسره الثناء الحسن. يقول مارك توين يمكنني أن أعيش لمدة شهرين على ذكرى مجاملة طيبة وقال دايل كارنيجي: "عليك أن تكون صادقا في استحسانك وسخيا في مديحك (ماكجينيس، 2007م، ص 123، 126).

ولعل السخاء المادي والمعنوي مع الوالد يقلص المسافات، ويلغي العقبات فلا تبخل عليه بمال واذكر فضله وأعلم أنه "جُبلتِ النفوسُ على حب مَنْ أحسن إليها وبُغضٍ من أساء إليها"، ولا تكن كابن الشاعر الذي عاتبه أبوه قائلاً:

تَعْلُ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلْ	غَدَوْتُكَ مَوْلُوداً وَمُنْتُنْتُكَ يَافِعَا
لَسْتُ قَمَكُ إِلَّا بَاكِيَاً أَتَمَلُّ ل	إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتُكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ
طُرِقْتُ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمُلْ	كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِّي
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْ مَلْ	فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي
كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعُمُ الْمُتَفَضَّلْ	جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفِظَاظَةً
فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلْ	فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبُوتِي

يمكن للابن أن يساهم في تشجيع والده على تكوين صداقات جديدة ومن أسهل الطرق لتكوين صداقات لكبار السن الوسائل التالية:

- الالتحاق بناد صحي لممارسة الرياضة بانتظام .
- الاشتراك في عمل تطوعي.

- حضور دورات تدريبية.
 - الحرص على استضافة الأصدقاء القدامى ودعوة أصدقائهم للحضور معهم.
 - السفر مع مجموعات كبيرة من الناس (هاينز, 2009م، ص 172) لا سيما عندما تقوم الجمعيات التعاونية والمهنية والثقافية بتوفير عروض مغرية للسياحة.
 - تزويده بمواقع إنترنت اجتماعية معنية بمناقشة قضايا محددة.
- ومن الآداب الضرورية لتحقيق قدر أكبر من التفاهم مع الوالد غض الطرف عن بعض الزلات والتوقف عن تتبع عثرات الأب فهذا أمر مطلوب فالإنسان لا يخلو من النقص. البعد عن تتبع العثرات يعمق الصداقات قال الشاعر:
- ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبّع جاهداً كلّ عثرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب
- إن الصبر على زلات الصديق وإصلاحه بلطف أمر غاية في الأهمية لديمومة الصداقة الأسرية وغيرها:
- إذا ما صديقي رابني سوءً فعله ولم يك عمّا رابني بمفريقي
صبرتُ على أشياء منه تريبي مخافةً أن أبقى بغير صديقي
- هذه هي فنون الصداقة عموماً وهي في حق الوالد أوجب.
- ولتعميق عرى الصداقة مع الآباء وفتح مسارات التفاهم والحوار السليم نقترح الآتي:
- اظهر مشاعر الاحترام والتوقير تكسب شرف صحبة والدك ويكون تعبيراً عن صداقتك، ومبعثاً للاعتزاز بك.
 - أفصح عن مشاعرك دون أن تجرح مشاعر غيرك. الفرق الشاسع بين جيلك وجيل والدك يجعلك تنظر إلى جملة أمور عصرية بمنظار مختلف أو حتى مغاير فعليك أن تعبر عن وجهة نظرك وتميز بوضوح بين التوضيح والتجريح فالأول يتضمن الاحترام للرأي الآخر بينما التجريح هو التعرض للذوات وانتقاص قدرهم. النقد الرقيق ضمن أسلوب دقيق يجعل الحوار رصينا، والمجتمع آمناً.
 - اجعل نصيحتك لوالدك لبقة ذكية تراعي سلامة ومتانة وديمومة أصرة الصداقة والقرابة.

- النقد المباشر له سلبيات هائلة ومنافع محدودة. "النقد مثل مخصبات النبات - الكمية المناسبة ستفعل العجائب، ولكن إذا زادت على حدها فستقتل العشب". "يسهل على الفرد أن يكون "ناقدا"، بينما يصعب عليه أن يكون محقا دائما" (بيتر، 2010م، ص 72).
- كثف عبارات الإشادة والثناء وتوقف عن الكلمات السلبية وكف تماما عن التجريح.
- اجمع الصور والكاريكاتيرات والأخبار المهنية أو المواقف الطريفة التي يجب الأب الاطلاع عليها وقم بإرسالها عبر الوسائل الحديثة في التواصل الاجتماعي.
- لا تكثر الحديث عن أمراض والدك والسؤال الزائد عن فحوصاته الطبية ومراجعته بل افتح المسارات الطبيعية في التحاور كي تفهم الجوانب الإنسانية الأخرى في حياة والدك وحتى يشعر بأن ثمة قضايا ومواضيع أخرى تدفع عن حياته الرتابة والملل.
- لا تشعر الأب أن قد بلغ من الكبر عتيا وأن هذا أو ذاك لا يصلح له أو أنه لكبار السن فقط بل أشعره أنه مثل الناس كلهم وعليه أن ينتقي من الأشياء ما يشاء ووفق احتياجه فذلك يقلص الفارق الشعوري بينكما.
- افحص سلوكيات وألفاظ ونصائح ومواعظ والدك واستفد منها في حياتك اليومية دون تكلف فهذا دأب أهل العقول السليمة {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} (الزمر: 18).
- التهالك المحموم على المادة والتسابق على المصالح الدنيوية وترك الشئون الإيمانية ليس من سمات المجتمع المسلم فلا بد للجانب الروحي من أن يأخذ مساراته في علاقاتنا وأحاديثنا ونقاشاتنا مع آبائنا فالمؤمن متميز في حياته يجمع بين محاسن الدنيا والآخرة والاعتدال أساس الإسلام.
- كن متميزا ولا تكن نسخة من غيرك فالأب يريد من ولده شخصا مستقلا يتممه ويطور إنجازاته وينمي أعماله ولا يقف الابن حيث توقف الأب. وإلى جوار ذلك كله فالأب يريد من ابنه أن يكون خيرا منه لهذا قد يشدد الخطاب عليه ويبالغ في طموحاته له وقد يقسو عليه أحيانا فوجب تقدير ذلك وتبريره والتجاوز عن سلبياته. هذا المسلك خير لسلامة شخصيتك المستقرة المستقلة وأسلم لك لإشباع حاجاتك ودوافعك وتحقيق هويتك وذاتك. سُمي أحد العلماء بابن خلكان بمعنى خل: اترك كان، وسببه التسمية أنه كان يكثر من قوله: كان والدي كذا، وكان جدي كذا، وكان فلان كذا فقليل له خل كان فغلبت عليه. ويروى عن سيدنا علي رضي الله عنه:

إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَذَا أَلَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

الغضب يدمر علاقاتك

الابن الذي يهون شأن التقصير في حق والديه عليه الحذر فالمعاصي الصغيرة مع الإصرار كثيرة الأضرار. وكم من أمور بسيطة وتصرفات يسيرة أشعلت القلوب، ومزقت الصفوف، وفرقت الأحباب. العاقل لا يحتقر الأمور الصغيرة فعود الكبريت - كما يقال - يستطيع أن يحرق ملايين الأشجار ... بينما من الشجرة الواحدة تصنع ملايين الأعواد. قال علماءنا "لا تحقرن يسير المعصية فهو كالعشب الضعيف يقتل منه حبال تجر السفن، أو ما نفذت في سد سبأ حيلة جرد". ينهار سد كامل من خلل صغير يكبر يوماً بعد يوم وهكذا صرح الصداقة الأسرية بحاجة إلى صيانتها من التقصير.

يمر المراهق والشاب بمواقف يندم عليها فيما أن يتراجع عنها ويعتذر ويطور آلياتها لتحسين علاقاته الاجتماعية وإما أن يضل طريق الاعتذار ويسلك مسلك الهبوط والانحدار. بعض الشباب - للأسف - يثور، ويغضب لأسباب واهية وغير منطقية وتبدر منه كلمات تافهة تجاه والده.

قد تسيطر على علاقات بعض المراهقين والشباب بأسرهم قدر كبير من التوتر والصراع والمواقف العصبية، أو قد تتصف العلاقة مع الأسرة بقدر كبير من السطحية وضعف الانتماء وعدم التقبل. وهنا تضطلع جماعات الأقران بدور مهم في حياة الشاب إذ تكون البديل لتأثير الأسرة. يعاني الشاب من وجود المشكلات الأسرية ويصيبه الإحباط فيما أن يصبح منطوياً وإما أن يبحث عن صداقات خارج المنزل لتعوضه ما يحتاج إليه من مشاعر وأواصر. إن الجو النفسي المشحون بالتوتر في الأسرة ينجم عنه آفات نفسية وعلل اجتماعية تتشكل لاحقاً لتمثل خلافاً تؤدي إلى صدمات تؤدي إلى مزيد من التصدع الأسري. إن الهروب من الصحبة الأسرية خطأ فالتربية تعلمنا أن إصلاح العلاقات غاية جلييلة لا يجيد عنها العاقل. إن الصداقة خارج الأسرة علامة إيجابية ولكن يجب أن لا تكون هروباً من الواقع الأسري وإلا فإنها صداقة زائفة.

على الشاب أن يملك إرادته ويطرد الغضب المذموم من واقعه لا سيما في التعامل مع والديه. وقد وعى المربون أن الحلم أدب رفيع ينظم انفعالاتنا، ويدير مشاعرنا، ويحمينا من الانجراف إلى منحدر الغضب. جرعات الحلم أفضل وصفة لإصلاح النفس وكما قال ابن تيمية "القوي الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب، حتى يفعل ما يصلح، فأما المغلوب حين غضبه فليس بشجاع ولا شديداً، والصبر صبراً: صبر عند الغضب؛ وصبر عند المصيبة. وما تجرع عبداً جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب؛ وجرعة صبر عند المصيبة؛ وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم" (بتصرف). يؤكد الأطباء أنه يزيد معدل ضربات القلب وضغط الدم، وتزيد مستويات هرمون الأدرينالين والنور أدرنالين (adrenaline and noradrenaline) أثناء الغضب الشديد مما يؤثر سلبي على جسد وعقل الإنسان إذا بلغ حداً مرتفعاً.

إدارة العواطف حمل ثقيل وسلوك صعب لكنه من أبرز أخلاق الانضباط ومن خير وسائل حفظ الصحة والعقل. الغضب أيضا حمل ثقيل يقلق النفوس ويجعل الأسر الآمنة مضطربة. الابن الذي يتأدب مع والده يتجنب الغضب ويسلك المسالك الحميدة ولو أساء الأب إليه فإنه يتقرب من الله ويتعبده بالإحسان لوالديه ويجاهد في ذلك. لا نتعامل مع والدنا بالمثل بل نتعامل معه بالفضل فلو أساء لنا أحدهما نحسن إليه، وإذا ابتعد عنا نصله ونحسن له.

يحض الإسلام على كظم الغيظ والتحكم في الغضب. ورد في الحديث عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! أي الأعمال أحب إليك؟ قال: أنفعهم للناس وإن من أحب الأعمال إلى الله تعالى، سروراً تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تسد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف شهرين في المسجد، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملاً الله قلبه يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخ له في حاجة حتى يشتها ثبث الله قدمه يوم تزل الأقدام، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل". وهذه العبادات وغيرها تكون من الابن تجاه الأب أكثر استحباباً، وأعظم ثواباً.

دربك نفسك على أن تكون حلماً وستجد الحلم عادة لديك. الحلم ضد الغضب وكما قال ابن الجوزي "ينبغي أن تقاوم الأمراض بأضدادها"، و"المزاوات تعطي الملكات" فمن زاول شيئاً واعتاد عليه وتمرن عليه صار ملكة له، وسجية فيه، وطبيعة منه. ورد عن عبدالله بن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهم: "تَعَوَّدُوا الْخَيْرَ فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ". قال أهل اللغة: أي دُرْبَةٌ، وهو أَنْ يُعَوَّدَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ سَجِيَّةً لَهُ. وَعَوَّدَهُ إِيَّاهُ جَعَلَهُ يَعْتَادُهُ، عَوَّدْتَهُ كَذَا فَاعْتَادَهُ، أَي صَبَّرْتَهُ لَهُ عَادَةٌ (مرتضى الزبيدي، تاج العروس، موقع الوراق، ص 2150). قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالْتَّحْلُمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُؤَفَّقَهُ". قال الشاعر:

تَكَرَّمْ لَتَعْتَادَ الْجَمِيلَ , وَلَنْ تَرَى
أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَأْنَ يَتَكَّرَمَا

الابن العاقل يهذب سلوكه بانتظام ويتعاهد نفسه بالرعاية. قال ابن الجوزي "اعلم أن الرياضة للنفس تكون بالتلطف والتنقل من حال إلى حال، ولا ينبغي أن يؤخذ أولاً بالعنف ولكن بالتلطف، ثم يمزج الرغبة والرغبة، وقد كان بعض السلف يشتهي الحلواء فيعدها لنفسه، فإذا صلى بالليل أطعمها، وما زال المحققون يلطفون بنفوسهم إلى أن ملكوها فقهروها". والنفس بحاجة لمجاهدة إلى أبد الدهر مما يشكل حملاً ثقيلاً إلا أن الهداية الإلهية تذلل الصعاب لمن بذل الأسباب.

تعلم فضل الرفق فهو نقيض الغضب وخير علاج له. التربية الصحيحة للذات هي التي تقبل على الفضائل وتبغض الرذائل وتستخدم وسائل التربية لتنمية الشخصية، وتهذيب النفس، وكسب الأصدقاء. قال الغزالي "اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة. والرفق واللين نتيجة

حسن الخلق والسلامة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش التفكير ويمنع من التثبت فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال. قال رسول الله: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتٍ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ»، وقال: «إِنَّ اللَّهَ لَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْحَرْقِ وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرَّفْقَ وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يُحْرَمُونَ الرَّفْقَ إِلَّا حُرْمُوا مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى»، وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»، وقال: «يَا عَائِشَةُ ارْتُقِي فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ كَرَامَةً دَلَّاهُمْ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ»، وقال: «مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ» (باختصار).

ثمة خطوات مهمة لضمان حماية آصرة الصداقة ضد الاختلافات والصدامات الاجتماعية التي تواجه الناس منها:

1. تحدث عن مشاعرك وليس عن أخطاء صديقك.
2. التزم بالحديث في موضوع واحد.
3. اترك لصديقك فرصة للرد.
4. الزم العادات الحميدة واجعلها ديدنك في كل الأوقات "فإن العادة ألزم من الطبع".
5. تجنب استخدام المواد الكيميائية للتهدة كتناول الأدوية إلا بمشورة الطبيب.
6. خفف من حدة النقد وأظهر إبداء الود (ماكجينيس، 2007م، ص 198) بل توقف تماما عن النقد السلبي.
7. لا تستخف بصغائر الأمور. عود ثقاب واحد يستطيع حرق غابة كبيرة وتحويلها إلى رماد يحتاج تكونها وظهورها إلى سنوات عديدة لا تحصى" (كولن، 2011م).
8. "فكر قبل أن تتكلم. إنه لشيء صحي أن تعبر عن مشاعرك. بدلا من كبتها بداخلك. وتصفية الأجواء تساعد على نمو العلاقة. لكن كن مدركا للأشياء التي من الأفضل عدم البوح بها. فالكلمات التي تقال في أوقات الغضب من الممكن أن تخرج مثل السكين. فمن الممكن أن تدمر هذه الكلمات صديقك، وبالتالي تدمر علاقتك، فكر في الأمر بهذه الطريقة: فبناء البيت يستغرق وقتا طويلا، بينما من الممكن أن تهدمه في دقائق. وهذا ينطبق فعلا على الصداقة" (بيتر، 2010م، ص 73).
9. لا تتبع الغضب بالغضب ولا ترد على الشر بالشر. قال لقمان الحكيم يا بني، كذب من قال: إن الشرّ بالشر يطفأ، فإن كان صادقا فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفئ إحداها الأخرى؟، وإنما يطفئ الخير الشر، كما يطفئ الماء النار.

10. كان نبيا صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً، وخيرهم خلقاً ونحن مأمورون باتباع نهجه، والأخذ بسنته. اجلس إن كنت واقفاً وأعلم أن الوضوء يجلب الطمأنينة وذكر الأوراد الماثورة يطرد الغضب من بدنك.
11. قال محمد فتح الله كولن "الإنسان العاقل هو الإنسان الذي عندما تسوء علاقته مع محيطه، يسعى بسرعة إلى إزالة خلافاته ويجدد صداقاته ويؤسسها مرة أخرى. والشخص الأعقل هو الذي لا يقع أبداً في سوء تفاهم أو خلاف أو قطيعة مع أصدقائه. إن استمرار العلاقة بين الأصدقاء واستمرار المحبة والتآلف بينهم -ضمن نطاق الشرع- مرتبط بمدى الفهم والإيثار الذي يبدونه فيما بينهم. والذين لا يملكون نحو الآخرين مبدأ التضحية في أفكارهم وفي سلوكهم وتصرفاتهم سرعان ما تنطفئ الصداقة بينهم وتزول" (بتصرف).
12. احفظ لسانك قبل أن تندم. وقيل لأحد الصالحين ما الثلاث التي أدبك بمن أبوك؟ قال: قال لي أبي: من يصحب صاحب سوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل سوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم". قال الشاعر:
- عود لسانك قول الخير تحظ به إن اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضي ما سننت له في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

أسلوبك في الحديث مع والدك

1. بادر في فتح حوارات تنتفع منها أو تدخل بها السرور على والدك. إنه الإسلام الذي يجعل أحب الأعمال إلى الله سبحانه، بعد أداء الفرائض، إدخال تبشير الفرح والسرور والراحة على وجوه الوالدين وذلك الفعل من موجبات الأجر والمغفرة ومن لبنات البناء الاجتماعي.
2. اختر الأوقات المناسبة ولا تبدأ الحوار في أوقات يكون فيها والدك مرهقا أو مشغولا.
3. كن غاية في التواضع. قال المفسرون في قوله سبحانه {وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ} أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه وإذا أراد ترك الطيران والارتفاع خفضه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع ونبه الله سبحانه على العلة الموجبة للإحسان إليهما والبر بهما واسترحام الله تعالى لهما وهي تربيتهما له صغيراً وتلك الحالة مما يزيده إشفاقاً لهما ورحمة إذا هي تذكير بحالة إحسانهما إليه وقت أن لا يقدر على الإحسان لنفسه (أبو حيان الأندلسي، تفسير النهر الماد).
4. احذر من الكلمات الدالة على الضجر والتأفف. قال تعالى {وَقَصَىٰ رِيْكَ أَلَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْنِيْمَا وَقُلْ

هُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} (الإسراء، 23). فلا بد من أن نقول لهما أحسن ما نجد من القول. قال الشوكاني في فتح القدير "ومعنى {فَلَا تَقُلْ هُنَّ أَفٌ}: لا تقل لواحد منهما في حالتي الاجتماع والانفراد، وليس المراد حالة الاجتماع فقط". قال الخازن في تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل "وقيل: إن أصل هذه الكلمة [أف] أنه إذا سقط عليك تراب أو رماد، ونفخت فيه تزيهه تقول: أف ثم إنهم توسعوا بذكر هذه الكلمة إلى كل مكروه يصل إليهم". قال الشعراوي و {أفٍ} "اسم فعل مضارع بمعنى: أتضجر، وهذه الكلمة تدل على انفعال طبيعي، ولكن الحق سبحانه يُجَدِّدُكَ منه، ويأمرك بأن تتمالك مشاعرك، وتتحكّم في عواطفك، ولا تنطق بهذ اللفظة. إذا نحاني الله عن هذه [فقد] نحاني عن غيرها من باب أولى، وما دامت هي أقلّ لفظة يمكن أن تُقال. إذن: نحاني عن القول وعن الفعل أيضاً" (بتصرف).

5. استخدم القول الكريم لقوله جل ثناؤه {وَقُلْ هُنَّ أَفٌ كَرِيمًا} قال الرازي في تفسيره والمراد منه أن يخاطبه بالكلام المقرون بأمارات التعظيم والاحترام. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو أن يقول له: يا أبتاه يا أماه، وعن عطاء أن يقال: هو أن تتكلم معه بشرط أن لا ترفع عليهما صوتك ولا تشد إليهما نظرك، وذلك لأن هذين الفعلين ينافيان القول الكريم (باختصار).

6. إياك من نظرات الغاضب. قال ابن عطية في تفسيره؛ تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز "أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة وأفضل تواضع في أقواله واستكانته ونظرة ولا يحد إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب" (بتصرف). وقال الصالحون "ما بر أباه من سدّ النظر إليه".

7. لا تزجرهما عندما يقولان رأيا لا يعجبك بل بأدب ولباقة حاورهما. لا تفند قولها بالعنف اللفظي بل عبر عن رأيك باللطف وبمنطق التوضيح والبيان وبما يقتضيه حسن الأدب معهما ولا تنجرف نحو التجريح والنكران.

8. ومن سوء الخلق، أن يتكلم الولد مع غيره بحضرتهما دون أن يكثرث بهما ولا يشركهما بالحديث إذا رغبا بذلك.

9. وازن بين إرضاء الأب والأم إذا التبس أمر واكسب ودهما معا. قال الإمام مالك في مثل هذه الحالات "أطع أبك ولا تعص أمك".

10. لا تطل الحديث معهما إذا شعر أحدهما بالملل نظرا لكبر سنه.

11. لا تتحدث مع والدك وأنت جالس وهو واقف.

12. توقف عن الحديث بلباقة ودبلوماسية إذا شعرت أن الحوار يسير نحو التصادم، والشحناء، وخذش أواصر المحبة والصحبة.

13. اختتم الحديث معهما بالدعاء لهما ولا تنس دعاء كفارة المجلس: "سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك". وهذا الدعاء الكريم - كما يقول ابن تيمية - فيه "التسبيح، والتحميد، والتوحيد، والاستغفار. من قالها في مجلس، إن كان مجلس لغط، كانت كفارة له، وإن كان مجلس ذكر: كانت كالطابع له".

إن أفضل نعمة يود الأب الاستمتاع بها والاستماع إليها هي نعمة الابن البار وقديما قال الحكيم أكثم بن صيفي: "العيش في سبعة أشياء: الولد البار، والزوجة الصالحة، والأخ المساعد، والخادم العاقل، والعافية السابعة، والقوت الكافي، والأمن الشامل" (التوحيد، 2007م، ص 371)، فكن أنت الابن البار في لطف كلامك وحسن عملك، وصدق حديثك، وسخاء نفسك ولك من الله أعظم الأجر.

يلخص محمد فتح الله كولن نظرتة لتربية النفوس على حسن التحدث في توجيهات تحمل في طياتها حكمة الشيوخ، وحنكة القادة، وحصافة الفلاسفة فيقول: "الثروة مرض يدل على عدم توازن العقل والروح. والكلام المعقول والمقبول هو الكلام الذي يصل إلى عقل المخاطب عن أقصر طريق ودون تشويشه. الإنسان العاقل هو الإنسان الذي يدع فرصة الحديث والكلام للآخرين ويؤمنُ فرصة لتحدث الآخرين - ممن يرجو منهم الفائدة له وللغير - أكثر من تحدته هو. والحقيقة أن تحدث الآخرين أمام من تنور عقله يعد عدم احترام وعدم توقير، كما أن صمت أمثال هؤلاء الأشخاص الكبار يعد خسارة للمجتمع. التحدث قليلاً والاستماع كثيراً أمانة من أمارات الفضيلة والنضج في الإنسان. أما شهوة إجبار الآخرين للإنصات والاستماع له وإن لم تدل في كل حين على مرض نفسي، إلا أنها بلا شك علامة من علامات عدم التوازن وعدم الحياء في الإنسان. ويجب الانتباه عند التحدث ألا يكون سبباً وجالباً للملل وسأم السائل أو المستمعين. من الطبيعي أن يصمت الإنسان عند وجوب الصمت، ويتحدث عند وجوب الحديث. غير أنه من الأفضل أن يتكلم أكثر الأشخاص إفادة. وهذا مرتبط بالأدب وبفهم فضيلة السكوت. لا ترتفع قيمة الإنسان وقدره بطول كلامه، بل بمدى فائدة هذا الكلام. الشخص الذي يتحدث على الدوام سيقع في أخطاء كثيرة لا سيما إن كان حديثه يتناول مواضيع فكرية دقيقة أو مواضيع تتطلب الاختصاص، فيخل بذلك بقيمته ويهبط بمنزلته، وما أصدق من قال: "من كثر كلامه كثر خطؤه". يُظهر الإنسان نفسه بكلامه، وتعكس تصرفاته وسلوكه سمو روحه. والشخص الذي يتصور أن من واجبه أن يدلي في كل موضوع بدلوه ولا يدع فرصة الحديث للآخرين... مثل هذا الشخص الثرثار سرعان ما يقابل بالنفور والضيق من قبل أصدقائه ويتعرض لإهاناتهم. وفي مثل هذا الوضع قد نفقد فرصة الاستماع إلى آراء جيدة من الآخرين، كما أن حقائق سامية ستعرض للاستهانة وللهزاء لكونها صدرت من فم ثرثار، وهذا عدم توقير لها. لقد كان شعار قلة الكلام شعاراً من شعارات الناضجين إلى جانب شعار قلة الأكل وقلة النوم" (بتصرف).

وفي هذا السياق قال حسن البنا في وصاياه: "لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع فإنه رعونة وإيذاء". ويقول محمد حسين فضل الله (2011م) "إن رفع الصوت بطريقة غير معتادة لا يدل على أية حالة توازن، لأن الصوت يمثل الوسيلة الطبيعية لتسهيل عملية التخاطب والتفاهم، فيكفي فيه ما يحقق ذلك. أما ما زاد على ذلك، فإنه يتحوّل إلى سفه وإزعاج للآخرين الذين قد يحتاجون إلى الهدوء والراحة والتخفف من صخب الواقع، فيمنعهم الصوت العالي من ذلك كله، هذا بالإضافة إلى أن الصوت كلما ارتفع أكثر، كلما كان أبعد عن الذوق الفني الجمالي، لأنه يلتقي بأصوات منكّرة مما يملأ الجو بالإزعاج ويدفع الإنسان إلى التوتر العصبي في أكثر من موقع" (تفسير سورة لقمان، بتصرف). وعلى هذا النهج يقول سيد قطب في ظلاله "والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شكّ في قيمة قوله، أو قيمة شخصه؛ يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق!".

ويحكى أنه اجتمع أربعة من الملوك على أربع كلمات تواردوا فيها موارد النصائح وأخرجوا درر معانيها من بحار القرائح. قال كسرى: أنا على ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت. وقال ملك الصين: أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني وإذا لم أتكلم بها ملكتها. وقال ملك الهند: عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن ذكرت عنه ضرت وإن لم تذكر عنه لم تنفعه. وقال قيصر: لأن أندم على ما لم أقل أحب إلي من أن أندم على ما قلت. فهذه كلمات صدرت عن صدور صافية من كدر الغل وغشه ليتحذر بها العاقل من لدغ الكلام ونهشه.

بناءً على جميع المعطيات السابقة وغيرها فإن التربية الإسلامية بما فيها من النداءات المعبرة والمفردات السامية تعتبر الأدب في الحديث من ركائز شخصية المؤمن الملزمة له المهيمنة عليه لا سيما في سلوك الابن وهو يتعامل مع مقام الأبوة فمن يخاطب والده لا يليق به إلا التزام حسن الأدب، ونبل القول في حال الرضا والسخط. لا بد أن تخضع الألفاظ إلى معايير الأخلاق عملياً وتتقيد فيه قناعة وممارسة لنتجه نحو خط الخلق الرفيع في كل أحاديثنا العامة والخاصة فنعرف قدر الكبير ونجعل من صداقتنا معه مصدراً للفخر، وكسباً للخير.

احذر المزاح السمج

رغم أن اللهو محمود والمزاح مطلوب فإن الإفراط فيه مذموم وقبيح وممقوت. إن في الصمت السلامة وكما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: أنصف أذنك من فمك فإنما جعل لك أذنان اثنان وقم واحد لتسمع أكثر مما تقوله. ويروي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه قال: "إياك والمزاح فإنه

يَجُزُّ إِلَى الْقَبِيحَةِ، وَيُورِث الضَّعِيفَةَ". وَمِنْ أَمْثَالِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِي: الْمَرْحَةُ تَذْهَبُ الْمَهَابَةَ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ لِابْنِهِ: لَا تَمَازِحِ الشَّرِيفَ فَيُحَقِّدَ عَلَيْكَ، وَلَا الدُّنْيَاءَ فَيُجْتَرِيءَ عَلَيْكَ.

إِنِّي بَلَوْتَهُمَا فَلَمْ أَحْمَدُهُمَا لِمَجَاوِرِ جَارٍ وَلَا رَفِيقِ

أَدْرِكُ سَلْفَنَا الصَّالِحَ ضَرُورَةَ صِيَانَةِ الصَّدَاقَةِ مِنْ شَعْبِ الْمَزَاحِ الثَّقِيلِ وَالْكَلَامِ الَّذِي يُلْقَى عَلَى عَوَاهِنِهِ دُونَ تَرِيثٍ أَوْ اكْتِرَاطٍ. فَقَالُوا:
أَمَّا الْمَرْحَةُ وَالْمَرَاءُ فَدَعَهَا خَلَقْنَا لَأَرْضِهِمَا لِصَدِيقِ

وقال أبو نواس:

صَارَ جَدًّا مَا مَزَحْتَ بِهِ رَبِّ جَدِّ سَاقِهِ اللَّعِبِ

وقال لقمان لابنه يا بني إن من الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من الإبر، وأمر من الصبر، وأحر من الجمر وإن من القلوب مزارع، فازرع فيها الكلمة الطيبة فإن لم تنبت كلها نبت بعضها. وقالوا من أطلق لسانه بما يجب كان أكثر مقامه حيث لا يجب. وقال الشاعر
رَبِّ قَوْلٍ قَدْ جَرَى مِنْ مِمَازِحِ فَسَاقٍ إِلَيْهِ الْمَوْتُ فِي طَرَفِ الْحَبْلِ
وَإِنَّ مَزَاحَ الْمَرءِ فِي غَيْرِ حِينِهِ دَلِيلٌ عَلَى فَرْطِ الْحِمَاةِ وَالْجَهْلِ

ويقال أوكد أسباب القطيعة المزاح وإن كان لا غنى للنفس عنه فليكن بمقدار ما يحتاج الطعام من الملح كما قال أبو العباس البستي:
أَفَدَ طَبْعُكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً تَجْمَعُ وَعَلَلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَ الْمَزْحَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمَلْحِ

ولا ريب أن التوسط غاية من غايات الشريعة في كل الأمور. قال سعيد بن العاص لولده: اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ويجرئ السفهاء ويقال المزح أوله فرح وآخره ترح. قال شاعر:

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب
لا تغضب من أحداً إذا مازحته
مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب
إن المزاح على مقدمة الغضب

وقال أبو جعفر الطبري:

لي صاحب ليس يخلو
يحيى تمزيق عرضي
لساناه من جراح
على سبيل المزاح

مقترحات للحوارات العاصفة

1. اختر الوقت المناسب لفتح باب الحوار عن المشكلة. لا تحاول أن تبدأ حواراً جاداً عندما يكون مزاج والدك حاداً، أو كان مشغولاً فالمشغول لا يُشغَل، حتى يفرغ من هذا المشغول به.
2. كن مهذباً في الحديث وسوف تجد والدك أكثر رغبة في مواصلة الاستماع.
3. اجعل حديثك دقيقاً وموجزاً وحدد الأمر المطلوب البت فيه.
4. جهز مقترحات خاصة وآليات عملية لحل المشكلة.
5. قبل التحدث فكر فيما ستقوله وقدر الموقف فلكل مقام مقال. قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل. وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه في الكلام: "إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر". قال الأبشيهي "واعلم أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه... والسلامة لا يعادلها شيء". من لا يحفظ لسانه يقع في البلاء؛ "إن البلاء موكل بالمنطق".
6. ابذل الجهد لمعرفة وجهة نظره بوضوح.
7. خذ في عين الاعتبار كل المخاوف التي يديها والدك من سلوكياتك وأكد على أهميتها في تضاعيف حديثك.

8. تحدث بناء على الحقائق لا الهوى لأن "آفة الرأي الهوى". البرهان أقوى الحجج لقوله سبحانه {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة: 111). نحى الإسلام بشدة عن اتباع الأهواء الفاسدة لأنها تخل بوظيفة العقل.
9. لمح وصرح من حين لآخر إلى ثقتك بسماحة والدك وسعة صدره وطول باله.
10. راقب حركاتك الجسدية فلا تستثير غضبه بالإشارة إليه، ولا تدر ظهرك له ... ولا تبتسم بسخرية ولا تمازحه بسخافة وسوء مزاج.
11. اجعل صوتك منخفضا بحيث يسمعك والدك بوضوح. تجنب استخدام عبارة الضمير والاحتمام فلا تقل: أنت لا تفهمني ، "أنك لم تجعلني أبدا أفعل ما أريد". استخدم الضمير أنا واستخدم عبارة أعتقد أنني أو "إنني أشعر أنني لم أفهمك". لا تتهم الآخرين ولكن صف ما تشعر به حيال تصرفاتهم وتصريحاتهم.
12. انتبه إلى وجه والدك وسوف تكون أكثر فاعلية إذا نظرت بأدب إلى والدك وليس للحائط أو النافذة عندما يتحدث إليك فالتواصل البصري المحمود مطلوب بشدة في هذه الأوضاع.
13. كن مستعدا لتقديم التنازلات. تنازل عن القليل فقد تحصل على الكثير (انظر بينسون، 2007م، ص 40-41). وقد سار في المثل السائر: ما لأ يُدرِكُ كُلهُ، لا يترك كُلهُ وفي أمثلتنا الشعبية نقول "العوض ولا القطيعة". قال الشاعر:
- إذا لم تسطع شـيئاً فدَعْهُ وجرأوزةً إلى ما تسـطع
14. اسأل الله أن يشرح صدوركما وييسر أموركما.
15. اشكره شكرا جزيلا على إتاحة الفرصة لك للحديث معه. هذه الأمور الصغيرة ذات فاعلية كبيرة في ترطيب نفوس كل البشر.
16. استفد من الآداب المذكورة تحت عنوان: أسلوبك في الحديث مع والدك في هذا الكتاب فهناك مجموعة آداب إسلامية كريمة نستخدمها في كل الأوقات ونستمطر منها البركات.
17. تخلق بالحياء، فالحياء ضبط للسلوك وإرضاء للضمير. الحياء هو انتقاء في السلوك المرغوب، وانتقاء فعل العيوب، واجتناب التقصير، والتحرج من مخالفة الصواب أو خدش المروءة والأخلاق. الحياء علامة على يقظة الضمير، ونظافة الروح. قال النبي صلى الله عليه وسلم: لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء، وعنه عليه الصلاة

والسلام: الحياء شعبة من الإيمان. وعنه: أن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. قال علماؤنا "الحياء لباسٌ سابغ، وحجاب واق، وسترٌ من المساوي، وأخو العفاف، وحليف الدين". قال الشاعر:

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
يعيش المرء ما استحيا بخيرٍ ويبقى العود ما بقي اللحاء
وما في أن يعيش المرء خيراً إذا ما وجهه فارقه الحياء

جميع ما سبق خطوات صغيرة لكن نتائجها باهرة والعامل لا يستهين بها فالتربية في مجموعها وأصولها هي مجموعة من التكتيكات البسيطة الطبيعية التي نسميها أخلاقيات ومهارات الحياة. قال محمد فتح الله كولن "بذرة صغيرة تنشئ شجرة باسقة... من ماء مهين نشأ هذا الإنسان العظيم... ومن قطرات الماء هدرت البحار وتصاحبت الأمواج... فإياك أن تستهين بالصغير فإنك لا تدري أي كبير بالغد سيكون".

الشدائد الاقتصادية تقوي أواصر الصداقة

الصداقة والقرابة من القيم الإنسانية الاجتماعية التكافلية التي دعا إليها الإسلام وينشد منا أن نستخدمها لتوثيق أواصر المحبة لا سيما حين العسر، وعندما تدق ساعة الخطر. المؤمن لا يريد الابتلاء ولكنه إذا جاء فعليه بالصبر وتصبير من حوله. ولأن الحياة لا تخلو من لحظات الشدة وساعات المرض وجب على الابن أن يكون قريباً من والده يشد أزره ويرفع معنوياته إذا داهمته الخطوب الصحية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو النفسية. الشعور المتبادل المشترك في الشدائد يجعل الإنسان يصل إلى القمم السامقة وإلى ذروة التميز. المؤمن لا يضجر من المصاعب بل يستثمرها في تطبيق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأسرة الواحدة ويجعلها جسراً نحو قوة ترابطها ودوامها وحمائتها من التفكك والانفصال، وسد الثغرات.

يقول محمد فتح الله كولن "ومصادقية الصداقة الموجودة عند أحدهم نحو أصدقائه تقاس بمدى مشاركته لهم في آلامهم وفي أفراحهم. فمن لا يبكي لبكاء أصدقائه ولا يضحك لضحكهم لا يعد صديقاً وفاقاً. محك الصداقة والأخوة الحقيقية هو استمرار هذه الصداقة وهذه الأخوة عندما يكون الأصدقاء في ضيق مادي وفي ظروف صعبة. فمن لا يكون بجانب أصدقائه في الأوقات الصعبة وفي الظروف الخطرة فلا علاقة له مع مفهوم الصداقة. الصديق الحق هو الذي يركع في أوقات الضيق، وليس الذي يهز رأسه موافقاً لك في كل أمر وهو الذي يأتيك دائماً، حتى عندما يتخلى الجميع عنك" (بتصرف انظر أيضاً

الفريخ، ج1، ص231). قال جبران خليل جبران "الصديق المزيف كالظل يمشي ورائي عندما أكون في الشمس ويختفي عندما أكون في الظلام، إن صديقك هو كفاية حاجاتك". وقال أبو العتاهية: قلت لعلي بن الهيثم: ما يجب للصديق؟ قال: ثلاث خلال [صفات]: كتمان حديث الخلو، والمواساة عند الشدة، وإقالة العثرة (التوحيد، 2007م، ص86). في السويد قول مأثور يقول "المشاركة في الفرحة يضاعفها، والمشاركة في الأحزان يذهبها (ماكجينيس، 2007م، ص169).

وإذا أنعم الله عليك بالمال "فأنت ومالك لأبيك" فلا تبخل عليه إذ احتاج إليك بل قبل أن يسألك بادر ولا تجعل الظروف تجبره على طلب المال لأن هذا لا يليق بالابن البار كما أنه يتنافى من جهة أخرى مع حقوق الصداقة. يروى أن رجلا طرق باب صديق قديم له، فلما فتح له الباب بادر بالترحيب به وأصر عليه بالدخول فامتنع ولكن أسرَّ له بشيء وكانت الزوجة قريبة منهما تسمع همس تحاورهما. ذهب الزوج وأحضر بعض النقود وأعطى صديقه ما طلبه لينطلق لقضاء حاجته، ثم دخل الزوج إلى بيته حزينا وأخذ يبكي فسألت زوجته: لم البكاء وقد وصلتته بالمال، ووقفت معه ولم تحذله فأنت نعم الصديق الوفي؟ فقال الرجل لزوجته: أبكي لأنني لم أنفق حاله فأعطيته قبل أن يدَّبل نفسه بالسؤال. قال جبران خليل جبران "جميل أن تعطي من يسألك، وأجمل منه أن تعطي من لا يسألك وأنت تعرف حاجته".

لا شك أن آباءنا مثل كل البشر يمرون من حين لآخر بظروف نفسية أو مالية قاسية يجب أن نبادر في مساعدتهم والتخفيف عنهم فالأعباء كثيرة والالتزامات ثقيلة أو على أقل تقدير نتجنب العبث بممتلكاتهم ونمتنع عن تبديد أموالهم. ولا يتحقق ذلك إلا عندما ننجح في الادخار، ونعرف فنون الإنفاق المالي الرشيد. الابن الذي يعيش لنفسه فقط، ويفكر في يومه وينسى غده، ويبذر ماله في إشباع ملذاته بلا حدود ليس بابن عاقل وستعلمه الأيام أنه فرط في فرص كثيرة وأن بعضها لن تعود.

يقول أحد الآباء قبل أيام تعرضت زوجتي لحادث مروري مروع وكان من لطف الله أنها خرجت سالمة ببدنها اللهم بعض الرضوض المتفرقة في جسدها وبعد أسبوع واحد فقط من الحادث تعافت ومارست حياتها العادية وزال الألم عنها تماما. كان تصليح السيارة يكلف مبلغا كبيرا يقارب من ثلاثة آلاف دينار. يقول الوالد وبينما أنا جالس لوحدي أرتب وذهني مشغول بتسديد المبلغ المطلوب لتصليح السيارة وتدبير أمر ميزانية الأسرة، وتقليص المبالغ المرصودة للترويح في العطلة الصيفية... دخل ابني الكبير "ناصر" وهو يقول لي: سأذهب لأحضر لك المبلغ وسأقوم بتصليح سيارة والدتي فإنني ادخرت مبلغا لظروفنا الطارئة. يقول الأب: غمرتني مشاعر السعادة وقلت: لا يا بني لن تدفع شيئا فلدينا ما يكفيننا من المال بفضل الله سبحانه وشكرته بابتسامه صادقة. ذهبت على الفور إلى زوجتي وكنت فرحا

فقلت لها إن ولدنا "ناصر" يعرف كي يدخر ماله، ويعرف مسؤولياته الفردية تجاه أسرته، وأخبرتها بما جرى فقالت «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» ففي كل محنة تصيب الإنسان، فوائد وخيرات وأفضال لا يعلمها إلا الرحمن.

أن تكون مقتصدا غير مبذر هو أن تكون ولدا صالحا يعرف قيمة المال ويسخره للخير. قال قيسُ بيت عاصم: يا بَنِي: عَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْمَالِ فَإِنَّهُ مُنْبَهُةٌ لِلْكَرِيمِ وَيُسْتَعْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ. روي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني أوصيك باثنتين ما تزال بخير ما تمسكت بهما: درهمك لمعاشك ودينك لمعادك. ومن أجمل قصص الصداقة في تاريخنا ما قاله أحد الفضلاء: كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت بشيء نصرفه في كسوتهم. قال: فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي، فوجه إلي كيساً محتوماً ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراري إذ بعث الصديق الآخر يشكو لي مثل ما شكوت إلى صاحبي، فوجهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلي مستحيياً من امرأتي، فلما دخلت عليها وأخبرتها بما فعلت استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه. فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي: أصدقني عما فعلته فيما وجهت إليك، فعرفته الخبر على وجهه. فقال: إنك وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إلي كيسي بخاتمي، قال راوي القصة: فتقاسمنا الكيس أثلاثاً ونمي [وصل] الخبر إلى [الخليفة] المأمون، فدعاني فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألفا دينار، وللمرأة ألف دينار.

وقد يتلى الأب بالأمراض لا قدر الله وهذا الابتلاء للابن والأب معا فهل يصبر الابن مع رحلة علاج والده أم يتركه وحيدا. من الأهمية بمكان أن يدرك الشباب سنة الحياة في الابتلاءات. الابتلاء سنة الحياة على امتداد الأجيال والصبر على الابتلاء يرفع من مقام الإنسان وكلما زاد بلاء الإنسان زادت المثوبة، فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ». قال الصالحون "ما من نَفْسٍ تَبْدِيهِ، إِلَّا وَلَهُ قَدْرٌ فِيكَ يَمْضِيهِ". والمعنى ليس من نَفَسٍ من أنفاسك تبديه؛ أي تظهره بقدرة الله تعالى، إلا وله تعالى فيك قدر؛ أي أمر مقدر ناشئ عن قدرته وإرادته. يمضيه ؛ أي ينفذه كائناً ما كان، فأنت رهن القضاء والقدر في كل نفس وفي كل طرفة عين، فكن عبداً لله مؤمناً بالقضاء والقدر في كل شيء، عطاءً ومنعاً، وقبضاً وبسطاً، وفقداناً ووجوداً، إلى غير ذلك من مختلفات الآثار، وتنقلات الأطوار ومن كان هذا حاله

يسر الله أمره. وهذا مقام شريف لا يوفي به إلا أهل العناية. ومن غفل في حسابه خسر في اكتسابه (الشرنوبلي، 2010م، ص 89، باختصار وتصرف). وفي صَيْدِ الْخَطَائِرِ لِلْإِمَامِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ: الرِّضَا مِنْ جُمْلَةِ مَمَرَاتِ الْمَعْرِفَةِ، فَإِذَا عَرَفْتَهُ سَبَحَانَهُ رَضِيَتْ بِقَضَائِهِ، وَقَدْ يَجْرِي فِي ضِمْنِ الْقَضَاءِ مَرَاتٌ يَجِدُ بَعْضَ طَعْمِهَا الرَّاظِي، وَأَمَّا الْعَارِفُ فَتَقِلُّ عِنْدَهُ الْمَرَارَةُ لِقُوَّةِ حَلَاوَةِ الْمَعْرِفَةِ". إن الله عند حسن ظن العبد إذا داهمته المفاجآت الصاعقة فإن كان ظنه خيرا فخير وقديما قال الشاعر:

تفائل بما تهوى يكن، فلقلما يُقال لشيءٍ: كان إلا تحققا

يواجه الإنسان يوميا عوائق دنيوية كثيرة فما السبيل لمواجهتها؟ قال الشافعي: "فليست تنزل بأحدٍ من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها". والتسليم بالقضاء والقدر يجلب الراحة النفسية. وكلما فهم الإنسان طبيعة الحياة سهل عليه التعايش معها ومن أجديات الحياة أن تُوطن أنفسنا على خيرها وشرها، وحلوها ومرها، ونفحاتها ولفحاتها، ومنحها ومحنها وهو ما أكد عليه الشافعي لا سيما في شعره:

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ
وَلَا تَجْرِعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي فَمَا لِحِوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ

وقال أيضا:

وَلَا حُزْنَ يَدُومُ وَلَا سُرُورَ وَلَا بُؤْسَ عَلَيَّكَ وَلَا رَحَاءَ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قُنُوعَ فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ

تلکم هي النفس المطمئنة لا ننحرف عنها ونرتقي بها لأنها نفس تتعامل مع الشدائد بنور الحكمة، تلکم هي النفس التي نريد أن نصل إليها، ونستمتع بها، ونعطي أهلنا ثمارها كي يكونوا أطيب الناس عيشا، وإلا - لا سمح الله - فإن لفحات الحن تسلب منهم نفحات الأمن.

لا يطيب عيش من ليس عنده قوت يومه، ولا يطيب عيش من تتنازعه أغلال الشدائد الاقتصادية وتكبل يده. الشاب البار بوالديه يفهم فلسفة الفتن فلا ريب أن الابتلاءات في حياة المسلم ذات غاية تربوية من شأنها الارتقاء بقدراته الروحية، وزيادة مكتسباته الفكرية، وملكاته النفسية. وهكذا

تصهر الشدائد شخصية الإنسان وتزيدها صفاءً، وتستجيش نشاطه معرفياً وفكرياً والفتى في الأزمات يستجمع مواهبه ليجتاز المصاعب، ويصمد إذا داهمت داره يوماً لا يفر أبداً خائفاً شارداً. الابن البار بوالدين هو القادر على الوقوف بجوار والده حتى يجتازه محنته فيخفف عنه الشدائد ويحرر نفسه من لجج الغموم وأمواج الهموم. وبذلك الصنيع الجميل يكون الابن صاحباً أثيراً لوالده ويصبح أكرم صديق وخير خليل.

وفي مقابل الصور المضيئة للابن فهناك الابن العاق وهو الذي يجلب الدمار للعقار، ويفسد الممتلكات ويحيل مال والده إلى الضياع وذلك كله من رذائل الأخلاق. إن المال عصب الحياة وقوام المصالح يكفيك يومك ويغنيك عن ذل السؤال وكم من شاب دمر سيارة والده، وأهدر أمواله وعاش لملذاته فقطع الرحم وباء بالإثم! إن العلاقات الاجتماعية الصحيحة هي التي تراعي الحقوق وتحفظها والصدافة الأسرية خير وسيلة لحفظ الكُلِّيَّاتِ الحُمْسِ؛ النَّفْسِ وَالْعَقْلَ وَالنَّسَبَ وَالْمَالَ وَالْعِرْضَ وهي الكليات التي جاء الإسلام لحمايتها ورعايتها.

من الجميل أن يعيش والدك وهو شاعر بحرصك عليه كي ينام قريح العين كيف لا والمحبة ترعاه، والصدافة الأسرية من الطبائع الجميلة التي تصون سره، وتحفظ أمنه، وتسري عنه. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَاتَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِفِرِهَا". قال العلماء "وَأَمَّا الْمَعْنَى، آمِنٌ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَلَوْ آمِنَ عَلَى نَفْسِهِ وَحَدَهَا دُونَ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ لَمْ يُقَلْ هُوَ آمِنٌ فِي سِرِّهِ. وَإِنَّمَا السِّرُّ هَا هُنَا مَا لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ". هكذا تكون الأسرة قوية بتربطها، والمجتمع أكثر أماناً وسلاماً، وأغزر استقراراً واستمراراً. إن الحاجة إلى الصديق في الأزمات كالحاجة إلى الغذاء والماء والاجتماع والنظافة لضمان بقاء الإنسان سليماً في فكره، صحيحاً في فؤاده، عزيزاً في أسرته. إن الوحدة شقاء وسقم، وشك وألم لاسيما لكبار السن ضعاف البدن، والابن الصديق لأبيه كفيلاً بعون الله بتفريغ الكرب وحفظ القوة الاقتصادية والنفسية والاجتماعية في العائلة. لا يمكن الحديث عن السعادة الأسرية في غياب مبادرات الابن ونبوغ الروح التحفيزية لديه في نصرته والده وحسن التواصل معه. تلك الروح الريادية التحفيزية المباركة في الشدة والرخاء تسوق الأسرة بأسرها إلى وجوه الخير والفوز والبقاء والظفر والهناء.

الشفافية مع الأب

تمنع الشفافية بين الناشئة وبين الآباء انتشار البلاء، وتحفظ البيوت من شرور لا حصر لها ومن نهايات لا تقر بها العيون. مصارحة الآباء ومكاشفتهم من الحصون المهمة لصيانة العقول والأعراض

والنفوس والأموال والأخلاق. عندما نقرأ قصص الشباب ممن دخلوا سجون الأحداث نجد العجب العجاب وندرك كيف يبدأ الانجذاب نحو الغواية وهجر الهداية. إن قصص الانحراف وما يتبعه من انحراف شديد نحو الهاوية قضية تقلق قلوب وعقول المربين عندما يجدون انتشار سوء الأخلاق بين الشباب. فهذه البنت بدأت بالمعاكسات وأدمنت على التواصل المحرم عبر كل قنوات الاتصال واستفحل الأمر حتى مارست المحرمات والله يسترها ويهب لها ساعات للندم والتوبة لكنها واصلت فعلتها وأصرت على جرمها ثم أفضت بأسرارها الجنسية لصديقتها الماكرة فاستغلتهما أسوأ استغلال ودمرت حياتها تدميراً. وذاك شاب تعلق بالشغالة بالمنزل واستودها أسرارها فسلبت منه له... هؤلاء الشباب وقعوا في حبال الشيطان لأنهم اتبعوا خطواته (هذه معصية بسيطة، لا تكبرها، كل الناس لهم أخطاء، لن يرانا أحد، غدا سأترك هذا الذنب...). لم يفتح أولئك الشباب باب الصداقة مع آبائهم ففرقت السفينة وتركت قصة حزينة.

يعرف الشاب الحكيم أين يودع سره وأين يفشي أمره كي يصلح أمره ولا ينتشر شره. لقد صرح كثير من الشباب والشابات أصدقاء من خارج العائلة وندموا ندماً شديداً وفي قصصهم الأليمة عبرة بليغة لنا جميعاً لنحفظ البيوت، ونوصد أبواب الصداقات المدمرة، والعلاقات الفاجرة. الشفافية مع الأمهات والآباء شفاء من كل داء، ومنجاة لمصالح البلاد والعباد، ومطرده للبلاء من جسد الأسرة بأكملها.

إن المتوسمين بالعلم والعمل يدركون أن الثقة المتبادلة بين الولد وأبيه هي التي تولد الصداقة الحقيقية التي تزدهر فتثمر "ممازجة نفسية، وصداقة عقلية، ومساعدة طبيعية" (التوحيد، 2007م، ص 26). ينصح الخبراء في مجال الصداقة بتنمية الشفافية بالأمانة مع النفس لأنها تساعد على تحسين صحة الإنسان حيث تمنع من الاعتلال النفسي والصحي وتفكك الشخصية. ليس هناك شك في أن الأمانة تدعم الصداقة. وحين تجرب الآخر بأعمق أسرارنا سنبدأ في فهم أنفسنا بصورة أفضل. نحن نحب الشخص الصريح معنا وندرك أنه يشعر بالأمان برفقتنا. لا بد من الحديث عن القضايا المهمة بصراحة وهذا يؤدي لتعميق الصداقة بين الابن ووالده وكلما بدأنا في مرحلة سنية مبكرة كان ذلك أفضل (ماكجينيس، 2007م، ص 39-46). المكاشفة بين الابن وأبيه فرصة لراحة النفوس وانسراح الصدور. "اعلم يا بُني أن الإنسان يحتاج في حياته إلى من يرجع إليه في بثِّ أفراحه وشكوى أحزانه، ولا مرجع تلقاه وقت الحاجة خير من والديك، فاجعلهما خزانة أسرارك، فإنهما نعم الأمين المكين والصادق الصدوق" (فكري، 2007م). احذر أن تضع أسرار أهلِكَ خارج سور بيتك. يقول محمود سامي البارودي:

مَنْ يَجِدُ الْإِنْسَانَ خِلاً مُوَافِقاً يُخْفِي عَنْهُ كُلَّ مَا أَلْفَى
فَلْيَرَأَيْ النَّاسَ بَيْنَ مُحَادِعٍ لِإِحْوَانِهِ، أَوْ حَاسِدٍ مُتَعَبِّطٍ

إذا حظي الإنسان بصاحب يوافق دربه ويصدق خلته فقد حظي بخير وفير. الأب من أولئك الأصحاب القلائل في دنيا الصداقة لا يفكر أبداً بالكيد أو الحقد بل يهب ابنه خالص النصح ويبادله الجميل، وإنه لشرف للشباب أن يصادق والده ويجعله من جملة من يخلص لهم الحب فصدقة الوالد غنيمة لا شوكة فيها إذا نجحنا في بناء علاقة ثنائية متناغمة فذلك عطاء جزيل { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (المائدة: 54).

نحن كأبناء نطلب من آباءنا الكثير نريد منهم أن يعطونا الثقة ونريد منهم احترام آرائنا فهل نحن نثق بهم ونحترم آرائهم؟ مما يبعث على الأسى أن الشاب يريد من والده المثالية ويطلبه من أمره شططا ثم لا يلتفت الابن لنفسه ولكنه يلوم والده. كما نطالب الأب بوحدة المظهر والجوهر فالأبناء مطالبون بذلك أيضا. يقول محمد فتح الله كولن "على الذين يحاولون أن يصلحوا العالم إصلاح أنفسهم أولاً. أجل! عليهم أن يطهروا أولاً قلوبهم من الغل والحقد والحسد إلى جانب استقامتهم في السلوك وفي التصرف وبعدهم عما لا يليق بهم. وبهذا فقط يستطيعون أن يكونوا قدوة لمن حولهم. أما من لم يسيطر بعد على عالم قلبه ولم يعلن الحرب على نفسه الأمانة. ولم يفتح عالم أحاسيسه الجوانية... مثل هؤلاء وإن تكلموا بمعسول الكلام، وإن كانوا في قمة البلاغة فإنهم لن يستطيعوا إثارة القلوب والأرواح ولو استطاعوا ذلك فلن يستطيعوا هذا طويلاً."

الابن الراشد من أهل النهى والصلاح هو الذي يستثمر حب والده له ليعدل سلوكه بلطف فالأب المدمن على السجائر يستطيع الابن أن يعينه على ترك هذا الوباء بحكمة وأن يكون سببا لهدايته والإقلاع عن تعاطيه وكذا يفعل لتصويب سائر المخالفات. والأب الذي لا يتقيد بالسرعة المرورية في سيارته أو لا يلبس حزام الأمان يحتاج إلى الذكرى الحسنة. الابن زينة الحياة الدنيا يسكن في أعماق الأب فيتأثر به وبأحواله بشكل خفي أو جلي ويستطيع الابن توظيف الحب بينهما بأن يكون وسيلة لأغراض عظيمة فالضمير الحي يتأثر ويستيقظ ولو بعد حين. يتحرج البعض من توجيه نظر الآباء لمسائل تتعلق بتصحيح سلوكياتهم والصحيح أن الإساءة لهم مذمومة أما النصيحة لهم وفق قواعد الأدب وأصول النصح فهو فرض لا يسقط عن كاهل أحد ومدار الإسلام عليه لَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.

قال علماؤنا "والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبههم عند الغفلة، وسد خللتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن

الظلم بالتي هي أحسن. ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم ببث علومهم، ونشر مناقبهم، وتحسين الظن بهم. والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يجب لهم ما يجب لنفسه، وبكره لهم ما يكره لنفسه". والمدخل الرحب لتحصيل كل ما سبق أن يكون الابن قدوة حسنة وكما قال خليل مطران إن المفكر المصلح هو الذي:

يُرْثِشِدُ النَّاسَ بِالْبَيَانِ وَبِالْقُدْوَةِ لَا بِالْوَعْدِ أَوْ بِالْوَعِيدِ
 إِنَّمَا الْمَصْلُحُ الْأَمِينُ هُوَ الصَّابِرُ غَيْرُ الْوَاهِي وَلَا الرَّعْدِي
 قَانِتٌ لَا يَلْدَهُ الْعَيْشُ مَا لَمْ يُدْنِهِ مِنْ مَرَامِهِ الْمُنْشُودِ

يريد الإسلام بالإنسان خيرا في كل علاقاته الأسرية والاجتماعية فيوجهه الطاقات الفكرية والأحاسيس كلها نحو العدالة في كل الأمور ولو تعلق الأمر بالوالدين أو بالنفس وهنا تغلب العدالة كل مظاهر العاطفة وتسير بها نحو منارات الحق والخير التي تبني المجتمع الإسلامي على قواعد العدل والقسط بكل حيثياته وإيجاباته. لا ريب أن ذلك عمل أخلاقي شاق ومخلص لا يشوبه مداهنة ولا مجاملة. قال جل ثناؤه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ } (النساء: 135). ذم الإسلام الغلو في كل شيء وأقام الشريعة والعقيدة على أساس العدالة والإحسان فلا يكون الهوى والتعصب ذريعة إلى ترك العدل أو كتمانها ولا تمنع رابطة القرابة ولا المنفعة الذاتية عن أداء الشهادة على الوجه الأكمل الذي يرضي المولى سبحانه، ويضيئ الضمير اليقظ. على ضوء المعطيات السابقة تتشكل الشخصية المسلمة الشاهدة على الحقيقة، المبصرة للعدالة دون تحيز ولا محاباة فتكون شخصية راشدة مانحة للخير، مانعة للشر وهو الأمر الذي يقوم الطبيعة الإنسانية. الصداقة إحساس وسلوك يقوم جوهرهما في تنظيم أمور الحياة على ركائز الصدق والالتزام به، وكذلك روابط القرابة لا قيمة لها إذا ضاعت قيم العدالة والصدق، وغابت مصلحة المجتمع. العدالة هي مناط المسؤولية الفردية والاجتماعية. تلك هي بعض منطلقات التربية الإسلامية الوضيئة لقيادة النفس وإنشاء العلاقات الإنسانية الأسرية المرتبطة بالواقع من جهة، والملازمة للفضيلة من جهة أخرى.

الصدقة في مجتمع المعرفة

تتأثر علاقاتنا الاجتماعية بالمستجدات الحديثة لأننا في عصر يموج بالمستكشفات الجديدة التي تصبغ حياتنا بصبغة غير مسبوقه وقد شاع تسمية المجتمع اليوم بمجتمع المعرفة knowledge society. نظرا لازدهار المعرفة. فهل نستطيع عزل التفاعل بين الابن والأب عن متغيرات العصر وثقافته؟

"يوصف العصر الحديث الذي رافق انتشار المعلوماتية والاتصالات بأنه عصر المعلومات. وقد لازمت هذه الصفة تماشياً مع ما درج عليه المؤرخون والباحثون في إطلاق صفة على كل عصر تتناسب مع النشاط العلمي أو الاقتصادي الأوسع انتشاراً أو الأكثر تأثيراً في الحياة. ويتجه الاقتصاد العالمي أكثر من أي وقت مضى نحو الاقتصاد المبني على المعرفة أو العلم و«التكنولوجيا»، كما يزداد اعتماد النمو الاقتصادي والاجتماعي على المستوى «التكنولوجي» وعلى نمو هذا المستوى" (الموسوعة العربية، 2004م، المعرفة- مجتمع، باختصار). ويمتد أثر المد الثقافي في مجتمع المعرفة ليخالط الروابط الاجتماعية سلبا وإيجابا فهناك من الشباب من استسلم لأصحابه في الإنترنت أو الهاتف الجوال فقطع علاقاته مع أقرابه أو تعكر صفوها بسبب الاستعمال غير المنضبط لثمار التكنولوجيا. التقنيات الحديثة قد تفتن الناشئة بل الكبار أيضا وقد تلحق الأذى أو الضرر بعلاقاتنا الاجتماعية وتلفها تماما إذا سارت في خط التماهي والانحراف الأخلاقي.

إن اللقاء الأسري اليوم بدأ يشهد ظواهر اجتماعية قلقة تقلل من منافع الاجتماع والتحاور والتفاعل كما كان سابقا حيث المنزل الفسيح. لقد انتشر السلوك السلبي لدى فئة من الأبناء من جميع الأعمار فراحوا ينشغلون طوال الوقت بكتابة الرسائل الإلكترونية والرد عليها والتفاعل معها بالضحك واعتزال الوالد وعموم التجمع الأسري فأجسادهم حاضرة معنا في اللقاء الأسري وقلوبهم بعيدة لاهية لاغية. لقد أخذت الألعاب الإلكترونية بألباب الأطفال الصغار فصاروا يجلسون بين الكبار ولكنهم في عالم آخر هو عالم الترفيه والشغف باللعب بلا حدود. وهكذا قد تحرم التكنولوجيا الأسرة من صفاء اللقاءات والجلسات والحوارات المجدية والمشاعر النبيلة التي كانت في الأمس القريب متنفسا وسكنا للابن مع أبيه. عندما تتجرد استخداماتنا اليومية للآلات الحديثة من الضوابط والآداب والقيم والمعايير تتعرض حياتنا وعلاقاتنا - بالتأكيد - إلى النقص وتسير الجماعة نحو التقلص والضعف والضمور والنشطي.

لقد بات الهوس بالتقنيات الحديثة إشكالية متنامية تحجب الفتیان من القيام بواجباتهم نحو آباءهم وهذا الاضطراب السلوكي والانزلاق القيمي حصاد لنقص الوعي السليم بتوظيف المعرفة في خدمة المصالح الإنسانية وصقل طاقاتنا والصمود أما التحديات بما يليق بالسقف المعرفي العالمي. إن التهرب من مستلزمات الحياة اليومية تدفع فئة من الناشئة نحو الانغماس في العالم الافتراضي على شبكات الإنترنت. ومن الأمانة الإشارة إلى الجهود المتألقة للمنظمات الخيرية وغيرها من الجهود الفكرية والتطوعية والحكومية

حيث تسعى إلى توظيف التقنية الحديثة في بناء مجتمعات ذات منظومات متقدمة للانفتاح الحضاري والارتقاء التعليمي والبناء الاجتماعي مع المحافظة على التوازن بين ترسيخ محاسن جيل الآباء وبين روائع جيل الآباء.

أشار بيل غيتس (William Henry Gates) إلى أنه شخصياً يضع الأجهزة الحديثة في منزله ضمن دائرة تمنعها إلى حد كبير من التأثير على مرونة علاقاته الأسرية وحدد مع زوجته وقتاً محدداً لأبنائه لاستخدام الحاسوب. وهذا نموذج رائع للسلوك الإنساني الحضاري الرفيع فرغم أن بل غيتس صاحب شركة مايكروسوفت (Microsoft) يقف - مع غيره من العباقرة - خلف الثورة الحاسوبية المعاصرة ويدير ثروة عالمية هائلة رأس مالها الصناعة الحديثة، والاتصالات المبتكرة المتطورة، والمعرفة الإلكترونية، والمنتجات المتجددة الجذابة إلا أنه ينادي بجملة قيم تربوية تقلص على المستوى البعيد الآثار السلبية للأجهزة الحديثة على عقل الفرد وعلاقاته لا سيما في الدائرة الأسرية. رغم أن بيل غيتس حصل على لقب أغنى رجل في العالم إلا أنه تابع تعليمه وحصل (في العام 2007م) على شهادة جامعية في الحقوق من جامعة هارفارد. وفي كلمته في يوم حفل التخرج قال غيتس في مقدمة الكلمة: انتظرت أكثر من 30 سنة لأقول الآتي: "أبي، كنت دائماً أقول لك أنني سأعود [للجامعة]، وسأحصل على شهادتي الجامعية". صفق الحضور لهذه اللمحة الاستهلاكية الموفقة الدالة على البر بالوالد. لقد تحقق الحلم بعد 30 سنة من الانتظار أو بالأصح الانشغال بالعلم وخدمة الفقراء وصناعة حياة جديدة. لم يترك الدراسة إلا بعد أن أخذ الإذن من والديه بالتفرغ لبناء شركة تجسد أحلامه وبعد أن شاهد والداه إقباله الشديد على مجال برمجة الكمبيوتر سمحا له بترك الدراسة الجامعية ومضت الأيام وعاد لاحقاً ليتم دراسته. تلك لمحة عملية لمجتمع المعرفة الذي يراعي حقوق الأبوة ويحاول الاعتدال في استعمال التقدم التقني.

إن التغييرات التكنولوجية يمكن أن تكون سندا للعلاقات الأسرية ويمكن أن تنسف أو تضعف التفاعل بين أعضاء الأسرة الواحدة تبعاً لطريقة الاستخدام. يمر معشر الشباب اليوم بعهد جديد تكنولوجياً ينعكس أثره على شخصياتنا وعلاقاتنا في آن واحد مما يتطلب التذكير بجملة آداب لترشيد العلاقات الاجتماعية بين الابن وأبيه منها النقاط التالية:

1- استثمر الأجهزة في التواصل مع والدك عبر الرسائل القصيرة المعبرة عن مكانته ومعزتك له فالكتابة من أقوى وسائل التعبير والتأثير.

2- اقتنص المعلومات السياسية والاقتصادية والمهنية التي تهم والدك وابعثها له عبر شبكات الإنترنت فإن الأب يكون لك شاكراً ولفعلك ذاكراً. هذه التصرفات تعطي الأب رسالة واضحة على نضج ابنه وسعة عقله، واهتمامه بوالده، وحسن اختياره الثقافية.

- 3- ابعث لوالدك الرسائل الإلكترونية المتضمنة على المواقف المضحكة فإن حسن انتقاء المزحة الحلوة، والطرفة الجميلة تدل على الذوق الرفيع والرغبة في إسعاد النفوس.
- 4- احذر من إرسال أي مادة علمية أو ترفيهية سمجة تتنافى مع ذوقه العام. صداقة الأب لا تعني التعدي على مزاجه أو الاستهتار بمعتقداته. يريد الابن أحيانا التقرب إلى والده بأفكار ومفاجآت جديدة فيقع في أخطاء كبيرة وهو لا يدري فكان حاله في هذا كقول الشافعي:
 رَامَ نَفْعاً فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَمَنْ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عَقُوقاً
- 5- احرص في أسفارك ورحلاتك على أن تصور بعض الصور المتميزة وابعثها لوالدك على هاتفه النقال فإنها تشعره بالاطمئنان عليك، والفخر بك.
- 6- قدم المساعدة الفورية له ليتعلم مميزات هاتفه النقال أو الحاسوب الذي لديه فإن مجرد تنظيف جهازه وتحديد مظهره يجعل الأب سعيدا.
- 7- اجمع روائع صور والدك القديمة واجعلها في قرص مرن أو في ذاكرة الهاتف وابعثها له.
- 8- قم بشراء البرامج الإلكترونية الثقافية والدينية والترفيهية التي يحبها وقدمها هدية له من حين لآخر أو في المناسبات السعيدة.
- 9- تحدث بفخر واعتزاز أمام والدك وأمام الآخرين عن البرامج أو المعلومات التي أرشدك والدك إليها أو علمك إياها.
- 10- لا تستخدم الهاتف النقال في حضرة والدك بأسلوب يستفزه ويثير سخطه.
- 11- احرص على نقل الأخبار النافعة الموثقة من المصادر المأمونة.
- 12- رصد ثمره المعارف الجديدة في مجال الصحة والعلوم يساهم في إيجاد حوارات فكرية نافعة بينك وبين والدك وهذا مجال خصب لا ينضب أبدا. تستطيع التقنية الحديثة اليوم تزويدنا بآخر التوجيهات الطبية وغيرها بالصور الدقيقة والأرقام والبيانات. من الجميل جدا أنت تتبادل مع آباءنا معلومات جديدة تساهم في تحسين معيشتنا وتجعل حواراتنا في دائرة المتعلم والمتعلم فإن للعلم لذة يحسن بنا أن نجد أثرها في بيوتنا قبل مدارسنا ومساجدنا وجامعاتنا ومؤسساتنا. إنها اللذة الخالدة التي جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يقول {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (طه: 114).

الفنون توسع نطاق الصداقة

إن اصطحاب الآباء إلى المسارح أو معارض فنية عربية أو عالمية تستهدف أمتاع النفس بالرسم أو التصوير أو سائر الفنون وسيلة راقية جدا لتأصيل الصداقة وتوسيع نطاقها في الأسرة الواحدة لتعميق العلاقات الجياشة بالعدوية، ولتربية الحميد من الخصال، ولرفع سقف التربية الجمالية ظاهرا وباطنا. إن زيادة الوعي بالفنون من أساليب تهذيب أحاسيس الأفراد واستثمار مواهبهم، فالفنون - على اتساعها وتنوع أغراضها- لغة عالمية تجمع الأصدقاء على هوايات معينة فيمارسونها من حين لآخر لتنمية هواياتهم، وتقوية علاقاتهم، وقضاء الأوقات بالنافع المفيد.

"الفن من أهم الطرق المؤدية إلى سمو الروح والمشاعر... الفن مثل مفتاح سحري يفتح الكنوز السرية المكتشفة. ف وراء الأبواب التي يفتحها تكتسي الأفكار صورها، وتكتسب الخيالات أجسامها. الفن من أهم العوامل التي تحافظ على المشاعر الإنسانية، وترسم لهذه المشاعر أسمى الأهداف وتزيد من عمق المشاعر لدى أصحاب الأرواح الحساسة. ولولا الفن لحرمتنا من كثير من ألوان الجمال الذي أوجدته الجهود الإنسانية. الأرواح الخالية من الفن والمنغلقة دونه يستوي وجودهم وعدم وجودهم، لأنهم ليسوا إلا أفراداً لا يستطيعون تقديم أي نفع لا لأنفسهم ولا لعوائلهم ولا لأمتهم، بل قد يكونون ضارين أيضاً" (كولن، 2011م). إن درب الصداقة طويل وعريض ويرحب بالفنون ودور الابن هو السعي إلى ربط هذا الحقل بالصداقة الأسرية.

ولا زالت طرائق تحسين الأخلاق ذات مناهج متنوعة منها توظيف الفنون الجميلة لترقيق الطباع وغرس التربية الجمالية في نفوس الناشئة بشرط انتقاء الفنون الإبداعية الخالية من الخلاعة للإسلام حرم الفسق ولم يمنع المملدات ولم يحرم نعمة الطيبات. المشاركة في الفعاليات المستندة إلى الفنون نشوة للشعوب، ونهضة للشعور. تحفز الفنون الجميلة بكامل أطيافها الناس جميعا وتقودهم نحو النظر إلى ذواتهم، واستبصار داخلهم، والتوحد مع الآخرين أو التناغم معهم عبر جسر التعبير عن مشاعرهم والالتقاء حول مشتركات عالمية. جميع الفنون الجميلة من مكونات المنهج التعليمي ولها أعظم الأثر في تنمية الروح، وتعزيز التواصل مع الإبداع والمبدعين بغرض ترقيق الطباع وتهذيبها، وترطيب الحياة وتخفيف ضوائقها.

إن رمت عيشاً ناعماً ورفيقاً، فاسلك إليه من الفنون طريقاً كما يقول الشاعر معروف الرصافي
فالفنون الجميلة تجعل معيشتنا غضة ومشرقة وترقق مشاعرنا كما تسعد من حولنا:

تلك الفنون المشتهاة هي التي غصن الحياة بها يكون وريقا
وهي التي تجلو النفوس فتتمتلي منها الوجوه تالأؤاً وبريقا

وهي التي بمذاقها ومشاقها يُمسي الغليظ من الطباع رقيقا
تَمْضِي الحياة طرّية في ظلها والعيش أخضر والزمان أنيقا

من الجميل أن يشاهد الابن مع والده فيلما هادفاً أو مسرحية اجتماعية المضامين وباب الهدايا مفتوح لترويح الفنون وإسعاد النفوس. يمكن أحياناً التحاور مع الأب عن القيمة الفنية والتربوية لكثير من هذه الأعمال الفنية العالمية والشعبية. وبما أن كثير من الآباء يعشقون الماضي فيمكن شراء الكتب المتميزة من حين لآخر وتقديمها للوالد ولا سيما الكتب التي ترسم البيئة الكويتية وتوثق ذكريات الأمس بريشة الفن أو عبر التصوير الفوتوغرافي. توسع الفنون نطاق فكرنا، وتجدد حركتنا، وتلهم مشاعرنا بقوة الجمال وروح الإبداع وتكشف لنا عن عمق نقاط الالتقاء بين النفوس.

الفصل الثالث: محفزات

الإفادة من التجربة الإبراهيمية

وضع إبراهيم أسس الكعبة بالتعاون مع ابنه إسماعيل عليهما السلام { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (البقرة: 127). وهكذا يضعان معا - الابن والأب - صرح بناء يكون هداية للناس ومبعثاً للطهر والفضيلة والأمن في أجواء مليئة بالدعاء والثقة والنشاط والاستبشار والتوجه الكامل لله سبحانه. إنها علاقة بدنية وروحية خالدة وشراكة دينية ودنيوية متميزة في البناء ورفع الجدران وإشارة إلى قوة الإيمان والسعي الحثيث للبناء والرفعة وعلو الشأن. يستوحي بعض المفسرين من الآية الكريمة السابقة أن يعيش العاملون بالله الخُلم الكبير في ما يحلمون به لمستقبل أولادهم، وذلك بالتركيز على أن يكونوا مؤمنين بالله، عاملين في سبيل إيجاد القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم والأمة المسلمة، فتتحول التربية، في هذا الجوّ، إلى التخطيط العملي، الأمر الذي يجعل ارتباط الإنسان بأولاده ارتباطاً رسالياً يتحرّك في نطاق الحركة الرسالية، لا في موقع العاطفة الذاتية التي تحلم وتفكر لهم بالنجاح المادي في الدنيا بعيداً عن النجاح الروحي في الدنيا والآخرة. توحى الآية وحدة الشخصية التي يحلم بها إبراهيم وإسماعيل لأولادها بما يحلمان به للذات ولأولاد الآخرين، لأنّ المسؤولية تتحرّك في داخلهم من موقع واحد نحو هدف واحد (انظر محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن).

إن أمر العقيدة هو الشغل الشاغل لإبراهيم عليه السلام، وهو همه الأول كما يقول سيد قطب "وشعور إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - بقيمة النعمة التي أسبغها الله عليهما.. نعمة الإيمان.. تدفعهما إلى الحرص عليها في عقبهما، وإلى دعاء الله ربهما ألا يحرم ذريتهما هذا الإنعام الذي لا يكافئه

إنعام.. لقد دعوا الله رهما أن يرزق ذريتهما من الثمرات ولم ينسبا أن يدعوا ليرزقهم من الإيمان؛ وأن يريهم جميعاً مناسكهم، ويبين لهم عباداتهم، وأن يتوب عليهم".

من وحي التجربة الإبراهيمية نستمد إرشادات تحدد وتوجه علاقة البنوة بالأبوة في الأسرة ذلكم المحضن الطبيعي لتصل لمستويات عالية وليكون تعاونها المثمر دستوراً ركينا للوحدة الشعورية والفكرية والحركية التي تضع لنفسها غايات جليلة وتتكاثر جهودها ملتفة حولها، مضحية من أجلها. لا زالت الأسرة راسخة في النظام الإنساني رغم الأعاصير والأراجيف والتفكك والتفسخ في كل الأزمان. يريد الإسلام للعلاقات الأسرية الجادة أن تصل إلى أبعد مجال يمكن أن تصل إليه وتحلق فيه محققة رصيда إنسانيا مرموقا وإنجازا خلقيا مرتقبا. تريد جميع الخطوط التربوية في الإسلام إيجاد علاقة أسرية تؤمن منذ النشأة بالتخطيط لا التخليط، وتؤكد على التعمير لا التدمير، وتؤسس للسعادة لا التعاسة.

يقول الشعراوي "يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم اذكر عندما كان إبراهيم يرفع القواعد من البيت.. وجاءت { يَرْفَعُ } هنا فعلا مضارعا لتصوير الحدث الآن وفي المستقبل. ولكن هل يرفع إبراهيم القواعد من البيت الآن؟ أم أنه رفع وانتهى؟ طبعاً هو رفع وانتهى، ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يستحضر حالة إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت.. والله يريد من المؤمنين أن يتصوروا عملية الرفع، فلم يكن إبراهيم يملك سلماً حتى يرفعه ويقف فوقه، ولم يكن يملك "سقالة".. ولكن غياب هذه النعم لم يمنع إبراهيم من أن يتحایل ويأتي بالحجر. إن الله يريد منا ألا ننسى هذه العملية، وإبراهيم وابنه إسماعيل يذهبان للبحث عن حجر، ولا بد أن يكون الحجر خفيف الوزن ليستطيعا أن يحملاه إلى مكان البناء.. ثم يقف إبراهيم على الحجر وإسماعيل يناوله الأحجار الأخرى التي سيتم بها رفع القواعد من البيت. ورغم المشقة التي يتحملها الاثنان.. هما سعيدان.. وكل ما يطلبانه من الله هو أن يتقبل منهما".

وجاء في تفسير تيسير التفسير للقطان "بعد ما مر من الآيات التي نوهت بالحرم والبيت، وأن الله جعله بلداً آمناً تجي إليه الثمرات. انتقل التنويه إلى أن الذي بنى ذلك البيت هو إبراهيم بمعونة ولده إسماعيل. وكانا يدعوان بقولهما: ربنا تقبل منا هذا العمل الخالص لوجهك الكريم، إنك أنت السميع لدعائنا؛ العليم ببنائنا في جميع أعمالنا. وفي الآية إشارة إلى أن كل من عمل عملاً صالحاً أو أدى فريضة مقررة وابتهل إلى الله بالدعاء طالبا القبول فإنه لا يردّه خائباً. ربنا واجعلنا مخلصين لك بأن لا نتوجه بقلبنا إلا إليك، ولا نستعين بأحد إلا بك، ولا نقصد بعملنا إلا مرضاتك".

عاش الابن مع أبيه يرددان أسماء الله الحسنى من مثل "السميع"، و"العليم" لأنها من كنوز الدنيا، ولأنها تجعل للحياة معنى، ولأنها تعطي المسلم الطاقة، وتعني لمسلك المسلم الكثير، ولأن الأسماء الحسنى تصقل صداقاتنا وترتقي بمشاعرنا إذا أدركناها حق الإدراك، وأنزلناها في بيوتنا وسلوكنا منزلاً كريماً.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

هذه ثمار الصحبة

قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه موجهًا الناشئة للصدافة الصحيحة ولبر الوالدين ولحاسن الأخلاق:

تردد رداء الصبر عند النوائب	تدل من جميل الصبر حسن العواقب
وكن صاحباً للحلم في كل مشهد	فما الحلم إلا خير خذن وصاحب
وكن حافظاً عهد الصديق وراعياً	تذق من كمال الحفظ صفو المشارب
وكن شاكراً لله في كل نعمة	يثبتك على التعمى جزيل المواهب
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه	فكن طالباً في الناس أعلى المراتب
وكن طالباً للرزق من باب حلة	يضاعف عليك الرزق من كل جانب
وصن منك ماء الوجه لا تبدلنه	ولا تسأل الأرزال فضل الرغائب
وكن موجباً حق الصديق إذا أتى	إليك ببر صادق منك واجب
وكن حافظاً للوالدين وناصرًا	لجارك ذي التقوى وأهل التقارب

روى أن علياً رضي الله عنه جمع أولاده فقال: أوصيكم بتقوى الله في العيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل على الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله في الشدة والرخاء؛ يا بني، ما شر بعدة الجنة بشر، ولا خير بعدة النار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاتته، ومن سل سيف بغية قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه، كشف الله عورات بنيته، ومن نسي خطيئته، استعظم خطيئته غيره، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن أعجب برأيه ضل. ومن جالس العلماء وقير، ومن خالط الأندال احتقر، ومن دخل مداخل السوء أظم، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعته، ومن قل ورعته مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار، يا بني، الأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، يا بني، العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله، وواحد في ترك مجالسة السفهاء، يا بني، زينة الفقر الصبر، وزينة الغنى الشكر، يا بني، لا شرف أعز من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، يا بني، الحرص

مفتاح البغي، ومطيئة النَّصَبِ، طوبى لمن أخلصَ لله عمَلَهُ وعِلْمَهُ، وحبُّهُ وبُعْضَهُ، وأخذَهُ وتركَهُ، وكلامَهُ وصَمْتَهُ، وقَوْلُهُ وفِعْلُهُ".

من أصحاب الغار نتعلم

كان الرجل البار بوالديه في قصة أصحاب الغار يطعم والديه ثم أطفاله وهذا الهدي في خدمة الأهل ومباشرتهم بنشاط وحكمة غاية في الأهمية لتحت على حسن الطباع، وتبث كرم الاجتماع. إن الرجل الذي يفعل ذلك في بيته ويشارك بفاعلية في أعمال المنزل وحسن تربية أطفاله ويولي اهتمامه لعائلته في المنزل وخارجه هو شخص ناجح لأنه يعي مشكلات الآخرين من حوله مما يحسن الرفقة بينهم، ويضفي حياة نابضة في عشرتهم.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوْوُوا إِلَى غَارٍ فَاَنْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أُرْزٍ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ وَأَبِي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَبِي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَأَنَّهُ أَنَا بِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ لَهُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا فَقَالَ لِي إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أُرْزٍ فَقُلْتُ لَهُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَبِي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرَّجْنَا عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّحْرَةُ فَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبْوَانٍ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَفَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغُونَ مِنَ الْجُوعِ فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ [لعلهم كانوا يطلبون زيادة على سد الرمق] حَتَّى يَشْرَبَ أَبْوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعُهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرِّبَتِيهِمَا فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَبِي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرَّجْنَا عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّحْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ... " (رواه البخاري).

مع سلفنا الصالح

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ ابْنُ عُمَرَ وَحَمَلَهُ عَلَى جِمَارٍ كَأَن يَزْكِبُهُ وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا [صديقًا] لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَإِيَّيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَالِدِ أَهْلٌ وَدِّيَّ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

لقد اعتنى سلفنا الصالح بشأن الصداقة فألفوا المؤلفات في هذا الجانب فأناروا السبيل. قال السيوطي فهذا كتاب لقبته (الروض الأنيق في فضل الصديق) أوردت فيه أربعين حديثاً مختصرة سهل

حفظها على من أراد ذلك من البررة". والكتاب بأكمله يكشف عن فضل صداقة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه. ووضع أبو عبد الرحمن السلمي كتابا متميزا اسمه آداب الصحبة ثم عقد فصلا فيه يحمل العنوان التالي "آدابُ الصُّحْبَةِ بَيْنَ الوَالِدِ وَوَلَدِهِ" ثم قال ومن آدابها : أن يعين الرجل ولده علي بره بالإفضال؛ رَجَمَ اللهُ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بَرِّهِ بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِ" وقال في نهاية الكتاب "والصحبة مع الأهل والولد بالمداواة وحسن الخلق وسعة النفس، وتمام الشفقة وتعليم الأدب والسنة، وحملهم علي الطاعات قال الله تعالي: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَا أُنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ" (سورة التحريم: آية 6). والصفح عن عثراتهم والعفو عن مساوئهم ما لم يكن إثما أو معصية... الصُّحْبَةُ مَعَ الوَالِدَيْنِ ودهما بالنفس والمال، وخدمتهما في حياتهما، وإنجاز وعدهما، والدعاء لهما في كل الأوقات ما داما في الحياة، وحفظ عهدهما بعد الممات، وإكرام أصدقائهما" (باختصار).

كان الأبناء يقتفون آثار آبائهم الطيبة بحثا عن الرشاد ومن هنا قال أحدهم مخاطبا والده "فَلَا تَذْبَرْ بِآدَابِكَ الصَّالِحَةِ، وَلَا تُتَدَيِّرْ بِآثَارِكَ الوَاضِحَةِ، حَتَّى يُقَالَ: مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ، وَالْغَادِيَةَ بِالرَّائِحَةِ". وعرف سلفنا ألوانا من صور الصحبة العلمية بين الابن وأبيه فمن أنواع الحديث النبوي الشريف رواية الآباء عن الأبناء - وهو قليل - من مثل أن أبا بكر الصديق روى عن ابنته عائشة، وروث عنها أمها أم رومان أيضاً. وروى العباس عن ابنه: عبد الله والفضل. وعرفوا رواية الأبناء عن الآباء وهو كثير، لكن رواية الشخص عن أبيه عن جده أقل، نحو رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ونحو بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده. ولقد تحدث ابن الصلاح في مقدمته الشهيرة في ذلك مما يدل على عمق الصلة العلمية بين الآباء والأبناء ومن المعلوم أن علم الإسناد لا نظير له عند سائر الأمم وهو برهان ساطع على قوة الصحبة الأسرية.

عاش سلفنا الصالح وبر الوالدين قوت يعيشون به، وقوة يتسلحون بها في بناء مجتمعاتهم وفق قيم الحب والمودة التي هي أهم روافد التكافل في العوائل. وكان الواحد منهم يتعوذ من زمن يضيع فيه حق الوالدين وتنقطع روابط المجتمع فقال أحدهم: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ زَمَانٍ تَمَرَّدَ فِيهِ صَغِيرُهُمْ، وَتَأَمَّرَ فِيهِ كَبِيرُهُمْ". وهذا يدل على عمق إدراكهم لخطورة التصدع الاجتماعي وسوء منقلب انحسار القيم مما يسبب انفلات زمام الضبط الاجتماعي، فليس شيء أشد على وحدة الأسرة من الشك والهجران وسوء التواصل بين أعضاء المؤسسة الواحدة.

وعندما نستعرض تراث سلفنا الصالح ندرك أنه يندب صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم بعد موته كما هو مندوب قبله وقالوا الصديق الفاضل من أحب صديق صديقه. ليكون اختيارك من الأشياء جديدها، ومن الإخوان أقدمهم. وكان سلفنا يجلون الآباء ومناقبهم في ذلك لا حصر لها. وعندما سمح والد الإمام الذهبي لابنه بالسفر طلبا للعلم اشترط عليه أن لا يغيب أكثر من

أربعة أشهر وكان الذهبي وفيما بوعده، باراً بوالده. قال الذهبي "وكننت قد وعدت أبي وحلفت له أني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر فخفت أعقه". وتحفظ لنا كتب العلم أيضا شدة تعلق الأبناء بالأباء فعندما يغيب طالب العلم كان يتمنى العودة للديار لرؤية والديه ويدعو بصدق لتعجيل هذا اللقاء المرتقب. قال أحد طلاب العلم "شربت من ماء زمزم لأرجع إلى بلدي واجتمع بوالدي... رجعت إلى بلدي واجتمعت بوالدي". إن الطالب المبتعث اليوم للدراسة في الخارج عليه أن يستشعر بعمق وصدق هذا الشعور الفياض المهذب. كان أحد الصالحين؛ علي زين العابدين بن عبد الله العيدروس رئيس العلماء في عصره بمدينة حضرموت وكان ذا جاه عظيم عند السلطان يصرفه في مملكته كيف شاء ويأتيه إلى بيته ويصدر عن رأيه وتناهى في الرياسة حتى كان هو المخاطب بالأمور ولد بمدينة تريم وحفظ القرآن وكان سريع الحفظ حسن البديهة ونشأ في حجر أبيه وكان مع تفرده بعلو المنزلة باراً بوالده يقف بين يديه ويعتني بخدمته فكان يمدده بدعائه وأخذ عنه العلوم الشرعية.

نقتني هدي الابن الوفي

كان أشبه ولد عبد الله بن عمر بن الخطاب به هو ابنه سالم ويكنى أبا عمر، وهذا الشبه بين الابن سالم ووالده عبد الله كان في الشكل والخلق. كان سالم يشبه أباه في السمات والهدى، وفي المثل: "مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ"، أي فما نقص حق الشبه، لأن الابن مجبول على اتباع الأب. وقد ورد في الأثر: من نعمة الله عز وجل على الرجل أن يشبهه ولده. كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُقْبَلُ ابْنَهُ سَالِمًا وَيَقُولُ: شَيْخٌ يُقْبَلُ شَيْخًا. وَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَفْرَطُ فِي حُبِّ سَالِمٍ فَيَلَامُ أحياناً فِي حُبِّهِ، فَكَانَ يَقُولُ: يَلُومُونَنِي فِي سَالِمٍ وَأَلُومُهُمْ وَجَلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

اتخذ سالم خط العبادة كما كان فقيها جليلاً فاضلاً وهو أحد الفقهاء العشرة من التابعين بالمدينة وكان حسن الخلق له أخبار ظريفة مع أشعب الطماع، وكان أسمر شديد السمرة، يخضب بالحناء، ومن خيار الناس، ومن حملة العلم فهو الطيب بن الطيب بن الطيب. سالم بن عبد الله بن عمر مدني تابعي ثقة. قال علي بن زيد: دخلت على سالم بن عبد الله منزله وكان لا يأكل إلا معه مسكين، فأرسل مولاه يأتيه بمسكين فأتاه بعجوز عمياء حذاء فأدناها فأكلت معه. وكان سالم إذا خرج عطاؤه فإن كان عليه دين قضاه، ثم يصل منه إن أراد أن يصل، ويتصدق منه ثم يجبس لعياله نفقتهم ثم كتب على ما بقي للحج إن شاء الله، أو للعمرة إن شاء الله. أحب سالم العمل بيديه وخدمة نفسه بنفسه وكان يخرج إلى السوق في حوائج نفسه ويحمل حاجياته ولا يسمح لأحد أن يحملها عنه أحد.

دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال له: يا سالم سألني حاجة، فقال: إنني استحيي من الله تبارك وتعالى أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج في إثره فقال له: الآن قد خرجت من الحرم فسألني حاجة. فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة فقال: من حوائج الدنيا، فقال له سالم: أما والله ما سألت الدنيا من يملكها، فكيف أسأل من لا يملكها.

وكان عبد الله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب وقال: إن ابني سالماً ليحب الله حباً لو لم يخفه لم يعصه. كان سالم يجلس ويوقر ويحترم أوامر والده وعندما طلب منه أن يتقدم في أداء عمل ما قدم من أمره والده أن يقدمه فقال لأخيه "ما كنت لأتقدم وقد قدمك أبي". لقد كان سلوك سالم يدل على أنه سر أبيه. وهكذا كان سالم الابن الوفي وعلى هداهم نقتفي وما أجدر بالأبناء، الاقتداء بالآباء والأجداد. إن حلاوة الآباء تنبع من حسن التواصل، وإخلاص النيات، وتحري الصواب، وإتمام مسيرة الصلاح.

صحبة علمية

قال أهل العلم: روى عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل عن أبيه شيئاً كثيراً من العلم، من جملة "المسنند" كله، وكتاب "الزهد". نزل عبد الله بن أحمد بأبيه، وله في نفسه محل في العلم، أحيا علم أبيه من "مسنده" الذي قرأه عليه أبوه خصوصاً قبل أن يقرأه على غيره، ومما سأل أباه عن رواة الحديث، فأخبره به ما لم يسأله غيره، ولم يكتب عن أحد، إلا من أمره أبوه أن يكتب عنه. يقول أحد العلماء: كنت يوماً عند أحمد بن حنبل، فدخل ابنة عبد الله، فقال لي أحمد: يا عباس! إن أبا عبد الرحمن قد وعى علماً كثيراً. وعن عبد الله بن أحمد [بن حنبل]، قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فأني سمعتك كثيراً من الدعاء له؟ قال: يا بني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل هذين من خلف، أو منهما عوض؟ وإن من روائع الأدب التربوي وصية الإمام أحمد بن حنبل لولده فهي وصية من أكمل وأجمل الوصايا إذ قال عبد الله لأبيه يوماً أوصني يا أبت، فقال "يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير". قال علماؤنا "وهذه وصية عظيمة سهلة على المسئول، سهلة الفهم والامتنال على السائل، وفاعلها ثوابه دائم مستمر لدوامها واستمرارها، وهي صادقة على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعاً سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق".

حكمة كبار السن

هذه حكاية رمزية تنطوي تحتها معاني نفيسة باهرة. "تناقل شعوب العالم حكاية شعبية إفريقية تتحدث عن قبيلة ضاقت بالمسنين من أفرادها، ورأت أن تتخلص منهم، لأنهم لا يعملون ولا ينتجون،

في حين أنهم يكلفون أهلهم نفقات باهظة، فما كان من الشباب إلا أن ألقوا المسنين في رعونة إلى ما وراء الجبل، فيما عدا واحدا منهم قرر أن يحتفظ بجده، ويقيه محتفيا عن عين الباقيين. وحدث أن أغارت قبيلة أخرى على هذه القبيلة، ولجأ الشاب إلى جده يسأله المشورة، فوضع له خطة نجحت في الانتصار على القبيلة المغيرة. وقامت الاحتفالات بالنصر، وحملوا الشاب الذي قدم لهم الخطة على الأعناق وراحوا يهتفون باسمه، فما كان منه إلا أن قفز من فوق أكتافهم ونزل إلى الأرض ليعترف بأن جده هو الأحق بهذا الهم، وكشف لهم عن السر، وخجلوا من أنفسهم وكفوا عن عملهم السيء وأحسنوا إلى كبار السن الذين سبق لهم أن أعطوا الكثير في شبابهم وأصبح من حقهم أن يلقوا الرعاية في شيخوختهم" (عبدالطوب، 1999م، ص 7). الكبار يتعلمون من الحياة ويغدو كثير منهم حكماء علماء فيزدادون تواضعا كسنا بل القمح "كلما كبرت السنبله انخنت، وكلما تعمق العالم في علمه تواضع". إنها أمانة أن نتعلم منهم سبل التعامل مع هموم الحياة وعلومها.

أبي سبب نجاحي

الصدائة الأسرية تجعلك خبيرا في شئون الحياة العملية. قصة هنري لوس تدل على ذلك بوضوح. هنري لوس مؤسس شركة تايم لايف التي أثرت على الرأي العام العالمي أكثر من أي ناشر آخر في وقتها، وقد وصلت مجلته إلى أكثر من ثلاثة عشر مليون شخص بالإضافة إلى طبعات دولية في مائتي دولة فهو لم يقم فقط ببناء إمبراطورية مالية بل إنه قام بثورة في الصحافة الحديثة. ف دائما ما يتذكر لوس سنوات طفولته في شان تونج في الصين، فقد اعتاد هو ووالده الذهاب ليلا في جولات طويلة سيراً على الأقدام خارج الحي السكني وكان والده يتحدث معه كما لو كان بالغا، وقد شكلت مشاكل إدارة المدرسة والأسئلة الفلسفية التي شغلت عقل والده محور محادثتهما. لقد عاملني والدي كما لو كنت في مثل سنه". هكذا قال روس، فقد كانت علاقتهما وثيقة لأنها كانا أصدقاء، وقد تربي كلاهما على تلك العلاقة (ماكجينيس، 2007م، ص 13). كان سبب نجاح هذا الرجل المرموق أنه كان صديقا لوالده.

الحوار والسلوك الراقي

يقول د. عبدالرحمن العوضي: كان والدي رحمه الله شديد الشفقة والشغف بنا كما هو حال الآباء مع الأبناء وكان يحسن صحبتنا ويحرص على تعليمنا القيم الأخلاقية قبل أي أمر آخر. كان يصبر أحيانا على أن نتناول وجبة الغداء مع العمال الذين كانوا يعملون في محلاته التجارية ويحضرون إلى منزلنا لتناول وجبة الغداء كل يوم. يقول الدكتور عبدالرحمن العوضي: عندما كبرت سألت والدي عن السر

خلف ذلك التصرف... فأجاب مازحاً: يا عبدالرحمن لقد أصبحت دكتوراً، وسافرت كثيراً ولم تعرف السبب الذي من أجله كنتُ أحرص على أن تتناول وجبة الغذاء مع الخدم والعمال؟ يا لك من رجل بسيط... يا بني إنني أريد من وراء ذلك أن تتعلم أن تجالس الفقراء وتحترم الكادحين وأهم من ذلك إن أولئك العمال أمانة في عنقي وأريد أن أضمن أن والدتك تقدم لهم وجبة الغذاء كل يوم على أكمل وجه وعندما يكون أولادها مع العمال لتناول الطعام أضمن أنها ستقدم إليهم أفضل الطعام دون نقصان وذلك في كل وجبة غذاء ودون أن أراقب وأتابع الأمر. إن الحاج عبدالله العوضي ترك خلفه الكثير من الخيرات والأوقاف وإلى جانب إحسانه ترك فقهاً في تربية وتصفية النفوس وبناء الشخصية وما هذه الحكاية إلا صفحة مباركة تنير بحكمتها القلوب والدروب فإن الأثر الحميد ينير بإحسانه جنبات الحياة.

من وحي مدرسة لقمان

لقد صحب لقمان ولده فخصه بجواهر النصائح واستمع الولد إليه بشغف ونقلت لنا الكتب ثمرة تلك الوشيحة الفريدة، والعلاقة الرشيدة. كثيرة هي المنقولات عن لقمان وقليلة هي المعلومات الواردة عن الابن رغم العلاقة الأسرية الفريدة بينهما إذ سجل القرآن الكريم طرفاً من دقائقها. عرف لقمان عبر القرون بالحكمة وإحكام الفكر ولا ريب أن الحكمة من أمهات الفضائل وهي: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدل. إن وصايا لقمان الحكيم وصايا تربوية صادقة وسامية ونافعة قد حكاها الله سبحانه وسجل بعضها العلماء، ليقوم الناس بدراستها على سبيل الاقتداء ومن أجل إغناء الشخصية الإنسانية التي ترفع شأن الأفراد حتى ترقى المجتمعات. إنها رسائل قصيرة جداً ولكنها بعيدة المدى، عظيمة النفع على مستوى الفكر وصفاء المعتقد من جهة، وعلى مستوى الممارسة الذاتية والاجتماعية من جهة أخرى.

جاء في تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية أن لقمان رجل حكيم بحكمة الله تعالى وهي الصواب في المعتقدات والفقهاء في الدين والعقل، واختلف العلماء في شأنه؛ هل هو نبي مع ذلك أو رجل صالح فقط. قال له رجل كان قد رعى معه الغنم ما بلغ بك يا لقمان ما أرى؟ (كيف أصبحت حكيماً؟) قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني. وحكم لقمان كثيرة مأثورة، قيل له وأي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً" (باختصار).

ورد في تفسير خواطر محمد متولي الشعراوي أن لقمان "رجل صالح مرهف الحس، دقيق الإدراك، وكان لقمان لا يمر على الأشياء إلا بهذا الحس المرهف والإدراك الدقيق العميق، فتتكون لديه مُدركات ومواجيد دقيقة تحتمر في نفسه، فتتجمع لديه مجموعة من الفضائل والقيم التي تسوس حركة

حياته، فيسعد بها في نفسه، بل ويسعد غيره من حوله بما يملك من المنطق المناسب والتعبير الحسن. ويُروى من حكمة لقمان أن سيده أمره أن يذبح له شاة ثم يأتيه بأطيب مُضغتين فيها، فذبح الشاة وجاءه بالقلب واللسان، وفي اليوم التالي قال له: اذبح لي شاة وأتني بأخبث مُضغتين فيها، فجاءه أيضاً بالقلب واللسان فسأله: ألم تأتِ بهما بالأمس على أنهما أطيب مضغتين في الشاة؟ قال: بلى فليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا شيء أخبث منهما إذا خبئاً" (باختصار).

أوصى لقمان ابنه بجملة من الوصايا السامية النافعة التي حفظها القرآن الكريم لنا، "فقد أمره - أولاً - بإخلاص العبادة لله - تعالى - ثم غرس في قلبه الخوف من الله - عز وجل - ثم حضه على إقامة الصلاة، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى الصبر على الأذى، ثم نهاه عن الغرور والتكبر والافتخار، وعن رفع الصوت بدون مقتض لذلك. وبتنفيذ هذه الوصايا، يسعد الأفراد، وترقى المجتمعات" (تفسير الوسيط في تفسير القرآن الكريم للطنطاوي).

من صاحب والده فعليه أن يحفظ نصائحه الثمينة ويجتهد في تطبيقها وتوريثها بذكاء لذريته كي تنمو القيم الإنسانية والأخلاقية والروحية والدينية وتتجه المجتمعات نحو الخيرات. تجسد وصية الأب لابنه عصارة خبرات العمر والأب دائماً يريد ابنه الأفضل وأن ينتقل في درجات النجاح ولا يتوقف عند درجة بل يصعد للأعلى ويرتقي في آفاق التوفيق. قال أحدهم لابنه: وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس، وغداً خيراً منك اليوم فافعل. وقال آخر وكن في اليوم الذي تستقبل خيراً منك في اليوم الذي خلفت. لو استطعنا أن نحترم هذه الوصية لانقلب حال الأمة من الضعف إلى العز، ومن الخمول إلى العطاء.

لقد أراد لقمان الحكيم أن يعلم ابنه التربية الصحيحة كي يطير في سماء العمل بجناحي الرهبة والرغبة، وأراد أن يغرس فيه ميزان الاعتدال فقال لابنه وهو ينصحه: يا بني ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافة لا تياس فيها من رحمته!

قال الابن متسائلاً: وكيف أستطيع ذلك يا أبت وإنما لي قلب واحد؟

قال لقمان الحكيم: يا بني إن المؤمن كذبي قلبين؛ قلب يرجو به [الرحمة والثواب]، وقلب يخاف به [الوعيد والعذاب]. ومن حكم لقمان لابنه: يا بني إنه من يَرْحَم يُرْحَمَ ومن يَصْمُتْ يَسْلَمَ ومن يُقْلُ الخَيْرِ يَعْغَمَ وَمَنْ يُقْلُ الباطل يَأْتَمَ ومن لا يملك لسانه يندم. يا بني زاحم العلماء بِرُكْبَتَيْكَ وأنصت إليهم بأذنيك فإنَّ القلب يَحْيَا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء.

وظف لقمان صحبته لابنه في توصيل الحكمة. أَلْحِكْمَةُ كما يقول الألويسي -أحد علماء التفسير- تشير إلى العقل والفهم والفتنة والفقهاء والإصابة في القول. والحكمة هي معرفة الموجودات وفعل الخيرات، فهي عبارة عن توفيق العمل بالعلم وحصول العمل على وفق المعلوم. والحكمة إضافة لما سبق

هي المنطق الذي يتعظ به ويتنبه ويتناقله الناس وإتقان الشيء علماً وعملاً. إنها كمال حاصل باستكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة بمعرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية. وقال الشعراوي "الحكمة تعني في معناها العام وَضَع الشيء في موضعه، وهي مجموعة من ملكات الفضائل تصدر عنها الأشياء التي تضع كل أمر في محله لكن يُيسر وبلا مشقة ولا تعب". وقال محمد فتح الله كولن "غاية الحكمة هي تنوير الطرق المؤدية إلى الله وإلى الروح، وهذا التنوير يحدث أحياناً من الأثر إلى المؤثر وأحياناً من المؤثر إلى الأثر. والذي يحمل شعلة الحكمة في يده يستطيع أن يوصل الإنسان -بدرجة سلامة نيته وقوة نظره- إلى الخير وإلى الجمال المطلق في كلا الطريقتين". "الحكمة wisdom هي «إتقان الفعل والقول، وإحكامهما»، ومعرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به، وهي النفاذ إلى باطن الأمور وحسن تدبيرها، والمعرفة الأتم، والتبصر الثاقب. إنها العلم والفقهاء، والاعتدال في الفكر والسلوك، وهي اعتدال وتوسط بين طرفين متناقضين: الإفراط والتفريط. فالحكمة صفة العقل المتعمق الرزين وكمال النفس الناطقة، وبذلك فهي فضيلة عقلية وأخلاقية معاً" (الموسوعة العربية، 2004م).

والأب الحاني يقدم لابنه مواعظ عظيمة ودور الأبناء الالتفات إلى معانيها والعمل بمراميها. قال لقمان: يا بني إياك والدين [الاقتراض] فإنه ذل النهار هم الليل. وهذه النصيحة مهمة للجيل الجديد الذي يغرق نفسه بالقروض البنكية ويستعجل في شراء الكماليات وقد يورط نفسه ووالده بضمانات لا يستطيع الوفاء بها. لا تستقيم الصحبة الزهية مع الأب إذا كانت المجالسة معه ليل نهار ثم يغرق الابن في الأقساط التجارية ويكون حاله بعيداً عن نور الحكمة.

وقد جاء في القرآن أن الله أعطى لقمان الحكمة، "في ما توحى به من العقل والفتنة، والوعي الدقيق لحقائق الأمور وخلفياتها، بحيث يتحول الإنسان المتصف بها إلى إنسانٍ منفتح يملك وضوح الرؤية للمواقف، فلا ينحرف عن خط الاستقامة فيها وسداد الرأي في القضايا. وقد رأينا كيف يوصي ولده بالانفتاح على الله وعلى الحياة من حوله من موقع الثقة بالله في تحريكها نحو الخير والاعتدال والمسؤولية والصبر على مشاكل الحياة، باعتبار ذلك مظهر عزم وقوة، من أجل أن يصوغ شخصيته صياغةً متوازنةً من الداخل، وفي علاقته بالناس وبالحياة من حوله، مما يثير في تقديرنا وتصورنا له، كيف يكون الأب المسؤول واعياً للفكر المتأمل والتجربة الواعية، من أجل إغناء شخصيته بالحكمة، وتوجيه ولده نحو الاستقامة في الفكر والعمل. وقد نستوحى من حديث الله في القرآن عن هذا الرجل الحكيم، أن الله يعطي الدور الكبير من الأهمية للحكمة الإنسانية المنطلقة من الفكر والتجربة كما يعطي الدور للنبيات المنطلقة في حركة وحيه، لأن الله يريد للإنسان أن يعيش تجربته في حركة فكره وعمله، كما يريد أن

يستلهم وحيه في عقيدته وسلوكه، ليكون للوحي الخط العام في حياة الإنسان، وللمعاناة الذاتية الخطوط التفصيلية في خدمة الخط العام" (فضل الله، باختصار، 2011م).

قال الشعراوي في خواطره "ومعنى { وَهُوَ يَعِظُ... } [لقمان: 13] الوعظ: هو التذكير بمعلومة عُلمت من قبل مخافة أن تُنسى، فالوعظ لا يكون بمعلومة جديدة، إنما يُنبه غفلتك إلى شيء موجود عندك، لكن غفلت عنه، فهناك فَرْق بين عالم يُعلم، وواعظ يعظ، والوعظ للابن يعني أنه كان على علم أيضاً بالمسائل، وكان دور الوالد أن يعظه ويُذِّكره. ونلاحظ في أسلوب الآية أن الله تعالى لما أخبر عنه قال { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ... } [لقمان: 13] ولما تكلم لقمان عن ابنه قال { يَا بُنَيَّ... } [لقمان: 13] ولم يقل يا ابني، فصغره تصغير التلطف والترقيق، وليوحي له: إنك لا تزال في حاجة إلى نصائحي، وإياك أن تظن أنك كبرت وتزوجت فاستغنيت عني". مهما كبر الابن فلا يستغني عن أب ودود يقوم بإسداء النصح إليه.

فيما يلي مجموعة ملتقطات تربوية تعليمية من درر لقمان وهي غاية في التربية الأخلاقية يجب أن يضعها الابن نصب عينه كي يكون حكيماً وجديراً بمصاحبة والده وإدخال السرور عليه:

- يا بني اتخذ تقوى الله لك تجارة، يأتك الربح من غير بضاعة. يا بني، لا تكن أعجز من هذا الديك الذى يصوت بالأسحار، وأنت نائم على فراشك، يا بني، اعتزل الشر كما يعتزلك، فإن الشر للشر خلق.
- يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك.
- لِكُلِّ قَوْمٍ كَلْبٌ، فلا تُكُنْ كَلْبَ أَصْحَابِكَ. قاله لقمان الحكيم لابنه يعظه حين سافر.
- يا بني، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثلاث: استخفاف الناس به.
- أمران إذا حفظتهما لا تبالي بما ضيعت بعدهما درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك.
- يا بني أقم الصلاة فإن مثلها في دين الله كمثل عمود فسطاط، فإن العمود استقام نفعت الأوتاد والأطناب والظلال. فإذا مال العمود أو تغير لم ينفع وتد ولا طناب ولا ظلال.
- يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار، والمؤمن يختبر بالبلايا.
- يا بني، إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره.
- يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءِ وَرَاحِمِهِمْ بِرُكْبَتَيْكَ. فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ. كَمَا يُحْيِي اللَّهُ الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ.
- شاور من جرب الأمور، فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء، وأنت تأخذه بالجمان.

- ثلاثة لا تعرفهم إلا عند ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند الخوف، والأخ عند حاجتك.
- إياك وصاحب السوء، فإنه كالسيف، يحسن منظره ويقبح أثره.
- لا تكن النملة أكيس منك، تجمع في صيفها لشتائها.
- ابتغ العلم صغيراً فإن ابتغاء العلم يشق على الكبير.
- مهما كان الرجل عالماً فإنه لا ينتفع بعلمه ما لم يكن العقل لعلمه مصاحباً.
- من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثير غمه ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.
- يا بني حملت الجندل والحديد وكل شيء ثقيل فلم أحمل شيئاً هو أثقل من جار السوء، وذقت المرار فلم أذق شيئاً هو أمر من الفقر، يا بني لا ترسل رسولك جاهلاً فإن لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك، يا بني لا تأكل شبعاً على شبع فإن إلقاءك إياه للكلب خير من أن تأكله، يا بني لا تكن حلواً فتبلع ولا مرّاً فتلفظ، ولا يأكل طعامك إلا الأتقياء وشاور في أمرك العلماء.
- لا خير لك في أن تتعلم ما لم تعلم ولما تعمل بما قد علمت فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فحمل حزمة وذهب يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى! لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء. يا بني أنزل نفسك من صاحبك منزلة من لا حاجة له بك ولا بد لك منه، يا بني كن كمن لا يبتغي محمدة الناس ولا يكسب ذمهم فنفسه منه في عناء والناس منه في راحة.

تمارين

اكتب عن بر الوالدين كصفة بارزة للأنبياء وكيف نوظفها في تربيتنا المعاصر؟
 (يمكنك الاستعانة بكتاب موسوعة الأسرة - الجزء الثاني - اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية - الديوان الأميري).

مقترحات لتوظيف الفكرة في حياتنا اليومية	أبرز الفوائد

تمرين رقم (2)

ابحث في شبكة الإنترنت عن لقطات (سمعية - بصرية) تحب الناشئة ببر الوالدين وتوقظ في الوجدان مشاعر الوفاء لهما.

ما عنوان المقطع الذي تم اختياره؟

ما اسم الموقع على شبكة الإنترنت؟

ما سبب اعجابك بذلك المقطع؟

إلى من سوف تبعث المقطع كهدية ومن باب التواصل والتناصح؟

الخاتمة

الصدقة صلة إنسانية صادقة بين طرفين أو أكثر تزدهر بالإخلاص والتواصي، وتنحسر بسوء الظن، والتشبث بحظ النفس، وطغيان الغفلة، والجهل بفنون ومهارات التواصل الإيجابي. إن إيقاظ مشاعر الصداقة غاية سامية تمدها التربية بالحيوية والنشاط والديمومة ليكون المرء شخصا مذكورا ويقدم أثرا مرموقا. الصداقة نعمة عظيمة تشع بأنوارها في حياة الإنسان النزيه فتشعره بإنسانيته وتبصره بجمال الحياة وترشده نحو مباحجها المتدفقة مهما ارتفع موج الفتن ومهما تعاظمت طوارق الزمن. ولا ريب أن من يرزقه الله صاحبنا ناصحا صالحا محبا حكيما، فقد فاز فوزا عظيما.

ومن سعادة المرء أن يكون والده صاحبه يعرف قدره وييسر دربه فذلك من النعم الظاهرة والباطنة، والخاصة والعامية يعرف قدرها المتوسمون بالعلم النافع والعمل الصالح وذلك أكثر ثواباً، وأحسن مآباً. الابن الصالح يصاحب والده لأن ذلك من أعظم دواعي بقاء ونماء وصفاء الصُّحْبَةِ الأُسْرِيَّة، وفيه دوام المحبة، والتزام الحكمة. لا ريب أن الأب نعمة عظيمة قد ينساها الإنسان ويغفل عنها بسبب الاعتياد، وطول الألفة، وغياب البصيرة.

وكلما أدرك الابن طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، وخصائصه الثقافية أمكنه التفاعل سليم مع والده، ومع من حوله بروح متوقدة بالحماس، ومشتعلة بالمشاعر، ومفعمة بالصدق دون الإخلال بطبيعة

الوفاء بالحقوق والواجبات المترتبة على الأفراد في سياق التنظيم العام للبناء الأسري والاجتماعي. وعليه يتماسك نسيج العلاقات الاجتماعية وتقوم الصداقة الأسرية بتعميق أواصر القرابة وتبها صحة موفورة في تعاملاته اليومية وتشد من أزر الروابط الأسرية لأداء مقاصدها المشتركة المنبثقة من خصوصيات الثقافة وقنواتها المتعددة المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي من جهة، وطبيعة التجربة الإنسانية الواسعة من جهة أخرى.

نطوي الصفحات السابقة لنقبل بنهم على عمل الصالحات فإننا نطلع على الكتب لنجدد رؤيتنا للحياة ونقبل على أعمالنا بنشاط أقوى، وعزم أعظم، وإصرار على الاستمرار في مساعي البر بآبائنا ونحن نضع نصب أعيننا الطمع بثواب الله ومغفرته ولا نغفل أن الجزء من جنس العمل؛ " بُرُوا آبَاءَكُمْ تَبْرُكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ". أن الأوان للأمة المسلمة أن تقدم للإنسانية مثالا تطبيقا يترجم معاني التربية الإسلامية في تطبيق مكارم الأخلاق وضرب أروع الأمثلة في الوفاء بالآباء والأمهات.

آن الأوان لتجسيد قيم القرآن الكريم في واقعنا كي نشعر بالسلام الداخلي، ويغبطنا أهل المشرق والمغرب على رقي أخلاقنا وسمو مبادئنا، وننال شرف الدعوة إلى سماحة ديننا العظيم قولاً وعملاً وشعوراً. ونكون بنشاطنا المهذب مشاعل هداية للبشرية ننشر الرحمة والإنسانية والمودة منطلقين من بيوتنا الآمنة المتألقة بمنظومة العلاقات الرشيدة التي تحدد أوجه التفاعل الإيجابي بين جيل الآباء وجيل الأبناء من وحي آداب الصداقة وبالتناغم مع ركيزة البر بالوالدين. حياتنا بالصداقة الأسرية أجمل وأنبل وأفضل.

المراجع العربية

- أبو حيان التوحيدي (1428هـ - 2007م). الصداقة والصديق. دراسة وتحقيق: الشريبي شريدة. القاهرة: دار الحديث.
- أبو سريع، أسامة سعد (1414هـ-1993م). الصداقة من منظور علم النفس. الكويت: سلسلة عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- اسبلاند، باملا (2006م). قوائم الحياة للمراهقين: نصائح، توجيهات، إرشادات للنضوج، المصادقة، التعلم والمتعة. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- بكار، عبدالكريم (1428هـ). إلى أبنائي وبناتي: 50 شمعة لإضاءة دروبكم. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.
- بكار، عبدالكريم (1428هـ). الرحلة إلى الذات (3): عصرنا والزمن الصعب.
- بكار، عبدالكريم (1430هـ). التواصل الأسري: كيف نحمي أسرتنا من التفكك. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.
- بيتر، رون هيرون وفال جيه (2010م). اكتسب الأصدقاء والأفياء وكن واحدا منهم. ط3، الرياض: مكتبة جرير.
- بينسون، بيتر وآخرون (2007م). ما يحتاجه المراهق للنجاح. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- الثويني، محمد (بدون تاريخ). كيف أكون صديقا لابني؟ الكويت: الأمانة العامة للأوقاف.
- الجريري (بدون تاريخ). المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي. بيروت: عالم الكتب.
- الرباعي، ركي مهدي محمد (1429هـ - 2008م). دليل الآباء لتنمية مهارات الأبناء. ط1، بيروت: دار ابن حزم.

- الرشيدي، بشير صالح والخليفة، إبراهيم محمد (1429هـ - 2008م). سيكولوجية الأسرة والوالدية. ط2، الكويت: إنجاز العالمية للنشر.
- الرومي، علي بن عبدالرحمن (1431هـ). تعامل الآباء مع احتياجات الأبناء: دراسة اجتماعية باستخدام مجموعات النقاش المحورية. في ندوة ماذا يريد الأبناء من الآباء. ط1، الرياض: مؤسسة ديوان المسلم.
- زايد، فهد خليل (1430هـ - 2010م). فن التعامل مع الأصدقاء. ط1، الأردن: دار النفائس.
- زايد، فهد خليل (1430هـ - 2010م). فن التعامل مع الأطفال. ط1، الأردن: دار النفائس.
- سيوك، بنجامين (2009م). كتاب د. سيوك لرعاية الطفل للقرن 21: دليل الوالدين لتنشئة الأطفال من الميلاد حتى المراهقة. إضافات وترجمة: روبرت نيدلمان. ط6، الاسكندرية: هضمة مصر.
- السلمي، أبو عبدالرحمن (1410هـ/1990م). آداب الصحبة. موسوعة الحديث الشريف على شبكة إسلام ويب (islamweb.net).
- سمولي، جاري (2010م). المفتاح لقلب طفلك: تنشئة أطفال متحفزين، ومطيعين، ومحبين. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- الشاذلي، كريم (1430هـ-2009م). الآن أنت أب. ط1، المنصورة: دار اليقين.
- الشماس، عيسى (2004م). موسوعة التربية الأسرية للأطفال "مواقف ومشكلات وحلول". دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- عبدالنواب، يوسف (1999م). المسنون وربيع العمر الجميل. القاهرة: الدار المصرية.
- عبدالجواد، محمد أحمد (1426هـ - 2005م). كيف تحاور أبنائك وتستمتع بهذا الحوار. ط1 القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- العوار، محمد سليم (2007م). بين الآباء والأبناء: تجارب واقعية. ط3، القاهرة: شركة هضمة مصر.
- فرانكل، فريد (2006م). الصديق الوفي، من الصعب العثور عليه. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- فضل الله، محمد حسين (1432هـ-2011م). من وحي القرآن. موقع بينات (arabic.bayynat.org).
- فكري، علي (2007). آداب الفتى. موقع الإيسيسكو (isesco.org).
- القشعان، حمود (1431هـ-2011م). وقفة مع أسرنا: أسرتك أمانة. ط1، الكويت: دار اقرأ.
- كاركان، صوفي (2010م). 100 قصة وقصة لحل مشاكل الأولاد. بيروت: دار الفراشة.
- كارنيجي، دونا ديل (2010م). كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس للمراهقات. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- كارنيجي، ديل (2010م). كيف تؤثر على الآخرين وتكسب الأصدقاء. ط2، الرياض: مكتبة جرير.
- الكندري، لطيفة (1423هـ-2011م). تأديب الطفل باللطف لا بالعنف: مجموعة دراسات علمية محكمة. ط1، الكويت: المركز الإقليمي للطفولة والأمومة.
- الكندري، لطيفة حسين - بدر محمد ملك (1432هـ-2011م). سلسلة تربية الأبناء السادسة: اختيار الأصدقاء. ط1، إدارة الصناديق الوقفية، الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية. الكويت.
- الكندري، لطيفة حسين - ملك، بدر محمد (2010م). تربية الطفل في كتاب سير أعلام النبلاء. مجلة الطفولة. جامعة القاهرة: كلية رياض الأطفال. العدد الرابع- يناير.
- الكندري، لطيفة حسين - وملك، بدر محمد (1429هـ - 2008م). تعليمة أصول التربية. ط3، الكويت: مكتبة الفلاح.
- الكندري، لطيفة وآخرون (1431هـ-2010م). التربية الاجتماعية في القصة النبوية. مجلة التربية: جامعة الأزهر، العدد 144 الجزء الثالث.

- كولن، محمد فتح الله (1432هـ-2011م). الموازين أو أضواء على الطريق. موقع محمد فتح الله كولن. (ar.fgulen.com).
- لاند، مارغو سندير - يانكسب، جاك (2010م). علم الأمومة والأبوة. ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- ماضي، جمال (1430هـ-2009م). كلام للشباب: رحلة البحث عن صديق. ط1، القاهرة: دار الصحوة.
- ماضي، جمال (1430هـ-2009م). كلام للشباب: فن التعامل مع الآباء. ط1، القاهرة: دار الصحوة.
- ماكجينيس، آلان (2007م). عنصر الصداقة الأساسي: كيف تزداد قرباً ممن تهتم بأمرهم؟ ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- محمد، مها (1423هـ-2011م). ابن متمرّد وأب متسلط. مجلة النهضة، المجلد 41، العدد 2191، الكويت.
- المرجع الأكبر للتراث الإسلامي. شركة العريس. الاصدار الثاني.
- المطوع، نسبية (بدون تاريخ). كيف أكون صديقة لابنتي؟ الكويت: الأمانة العامة للأوقاف.
- ملك، جاسم محمد - والفيلكاوي، أمل عبدالله (2008م). مفكرة الأسرة. الكويت: مؤسسة ديزاين وورلد.
- ملك، بدر، والكندري، لطيفة (1427 هـ - 2006 م). تراثنا التربوي: نطلق منه ولا نغلق فيه. ط2، الكويت: مكتبة الفلاح.
- موسوعة الأسرة (1432هـ-2011م). ط1، الكويت: اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
- الموسوعة العربية (2004م). دمشق: هيئة الموسوعة العربية.
- الموسوعة الفقهية. (2008م). الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- موسوعة الكويت للتقدم العلمي (1426 هـ - 2005م). قاموس القرآن الكريم (معجم الطب). ط2، الكويت: موسوعة الكويت للتقدم العلمي.
- موقع أ. د. لطيفة حسين الكندري، (1432هـ-2011م). (latefah.net)
- موقع التفسير (1432هـ-2011م). مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي في الأردن: (altafsir.com).
- موقع المحدث (1432هـ-2011م). (muhaddith.org).
- ميتشل، أليسون (2011م). دليل الأمومة الرشيدة. ط1، مصر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية.
- النعمي، مريم عبدالله (1426 هـ - 2005م). المملكة الأسرية. بيروت: دار ابن حزم.
- النمر، عبدالرحمن عبداللطيف (1432 هـ - 2011 م). علاقة الغذاء بسلوك الأطفال. مجلة الكويت: العدد 328، صفر - فبراير، وزارة الإعلام: الكويت.
- هاينز، سيندي (2009م). كتاب الصداقة: من أجل حياة أفضل. ط3، الرياض: مكتبة جرير.
- هنداوي، خيرية (2011م). الصداقة العائلية حصن أمان للشباب. موقع البلاغ (balagh.com).
- ياجر، جان (2008م). عندما تصبح الصداقة مؤلمة. ط3، الرياض: مكتبة جرير.

المراجع الأجنبية

- Canfield, M & Others (2005). *Chicken Soup for Fathers & Daughters soul*. Florida: Health Communications.
- Dewar, G (2009). *Should parents be friends with their kids?* (parentingscience.com). family. (2011). *Encyclopædia Britannica*. Chicago.
- Fuller, C & Plum, A (2010). *Mother – Daughter Duet: Getting to the Relationship You Want with Your Adult Daughter*. Colorado: Multnomah Books.
- Gillot, L & Sibiril, V (2005). *Dealing with MOM: how to understand your changing relationship*. New York: HNA.
- Glass, C (2010). *Happy Kids: The secret to raise well-behave, contented children*. UK: Harper.

- Hayman, Z (2008). *Single Parenting*. UK: Teach yourself.
- Kelly, J (2011). The dad man dot com (thedadman.com).
- Lamanna, M. and Riemann, A (2009). *Marriages and Families: Making Choices in a Diverse Society*. Tenth edition. Thomson: Australia.
- Parker-Pope, T (2009). WELL: What Are Friends For? A Longer Life. The New York Times: (nytimes.com).
- Perigot, J (2007). *Dealing with DAD: how to understand your changing relationship*. New York: HNA.
- Ravi, M (2009). *To teach is to touch lives: Teaching through the heart . Action plan for better teaching*. New Delhi: Viva Books.
- Shaffer, S. M & Gordon, L. P (2005). *Why Girls Talk--And What They're Really Saying: A Parent's Survival Guide to Connecting with Your Teen*. McGraw-Hill. Place of Publication: New York.
- Stanford University. (2011). Encyclopædia Britannica. *Encyclopædia Britannica Ultimate Reference Suite*. Chicago.